

**بانوراما الصنف والكتابة**

الكتاب : بانوراما العشق والكتابة - سيرة حياة كتاب وأدباء

الكاتب : ربيع مفتاح

الطبعة : ٢٠١٥

الناشر : وكالة الصحافة العربية ( ناشرون )

هـ ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مذكور - الهرم -  
الجيزة  
جمهورية مصر العربية  
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ - ٣٥٨٦٧٥٧٦ - ٣٥٨٦٧٥٧٥  
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣



http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

**All rights reserved.** No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية  
فهرسة أثناء النشر

مفتاح، ربيع

بانوراما العشق والكتابة - ربيع مفتاح - الجيزة : وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٥

تدمك : ٧ - ١٩٩ - ٤٤٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١٦ ص ، ١٨ سم .

رقم الإيداع / ٨٩٦٨

أ. العنوان

# بانوراما العشق والكتابة

سيرة حياة كتاب وأدباء

ربيع مفتاح

وكالة الصحافة العربية

«ناشرون»





الإهداء

إلى أحفادي

آدم.. شهد.. روفان

عسى أن يأتي يوم تقرأون فيه هذا الكتاب

ربيع مفتاح



## مقدمة

لا أدري سر اقتناعي بأن الشخصيات هي محور الحياة، ولا أقول جديدا بأنها هي التي تغير التاريخ، فقد قال ذلك من قبل الكاتب والمفكر توماس كارليل في كتابه "الأبطال" الذي ترجمه الأديب المترجم محمد السباعي، عم الكاتب الكبير الراحل يوسف السباعي.

ربما يفسر ذلك عشقي لقراءة التراجم سواء كانت ذاتية أو غيرية تراجم بأقلام أصحابها وتراجم كتبها آخرون عن شخصيات معروفة ومشهورة.

الشخصية أيضا هي محور الفكر والأدب والفن. كثير من الأعمال الأدبية الخالدة اعتمدت على فن بناء الشخصية ويظهر ذلك جليا في عظم مسرحيات شكسبير، هاملت، عطيل، ماكبث، هنري الثامن. تاجر البندقية، وأيضا في مجال السينما. الأفلام التي حازت على إعجاب الجماهير والنقاد كانت عن شخصيات تاريخية معروفة مثل

كليوباترا، غاندي، عمر المختار، الناصر صلاح الدين وعلى مستوى المسلسلات.

ارتبط النجاح منها بالمعالجة الدرامية لشخصيات مشهورة، بوابة الحلواني عن شخصية الخديوي إسماعيل، وناصر ٥٦، السادات، أم كلثوم، الملك فاروق، هارون الرشيد، عمر.

كل ذلك على سبيل المثال وليس الحصر تمتاز الشخصية دائما زمان ما ومكان ما ومجموعة كبيرة من الأحداث والصراعات ومن ثم تفاعل وتنصهر مع شخصيات أخرى في الحركة والفعل والحياة، غالبا ما تحدث نقطة التحول في حياة الشخصية حين تتماثل أو تتقاطع أو تصادم مع شخصية أخرى.

وهذا ما حدث لعميد الأدب العربي الراحل طه حسين في لقائه مع أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد فوجد فيه ضالته وبغيته، كما حدث تحول كبير في مشوار الفنان الكبير الراحل محمد عبد الوهاب حين التقى وهو ما زال صغيرا مع أمير الشعراء أحمد شوقي.

وقد تأثر وأثر عملاق الأدب العربي عباس محمود العقاد بعد لقائه بزعيم الأمة سعد زغلول وكتاب "بانوراما العشق والكتابة" الذي أقدمه إلى القارئ العربي هو كتاب محوره الشخصيات.

كُتبت عن بعض الشخصيات التي كان لها أدوار مؤثرة في حياتي منها الأستاذ شوقي، الأستاذ غديري، الأستاذ أحمد زرزور، وإذا شاء الله سوف أكتب عن شخصيات أخرى من خلال الأجزاء الأخرى من الكتاب بنفس العنوان كما كتبت عن أسماء معروفة تقابلت معها وقرأت لها وعنهما: منها المبدع والمترجم د. عبد الغفار مكاوي، والكاتب القاص والروائي المتميز محمد مستجاب، والناقد د. محمود الربيعي، والكاتب والصحفي عبد الوهاب مطاوع، كما عرضت بعض الكتب التي تناولت شخصيات مؤثرة في حياتنا منها الكاتب والشاعر العظيم طاغور وغيره.

وأيضاً ترجمت بعض الموضوعات والحوارات المرتبطة بأسماء معروفة على خريطة الإبداع العالمي منها: دان براون، نابول، جورج أورويل. د. ه. لورنس وغيرهم. وبطبيعة الحال كان يوسف إدريس، ونجيب محفوظ لا أستطيع أن أحول نظري عنهما، كما أتمنى أن أكتب بنفس المنهج عن شخصيات أخرى كثيرة، لا يتبقى لي سوى أن أتوجه بالعرفان والتقدير للصديق الكاتب والناشر الروائي خليل الجيزاوي على جهده في إخراج وإصدار هذا الكتاب.

ربيع مفتاح

الهرم في ديسمبر ٢٠١٣



## القسم الأول



## الأستاذ شوقي

لا أدري ما السبب في أن صورة الأستاذ شوقي كثيرا ما  
تطاردني. وإن كنتم لا تعرفون الأستاذ شوقي فأنا أعرفكم  
به. ربما في حكايته بعض الفائدة.

حين كنت تلميذا في المرحلة الابتدائية. ربما كنت في الصف الرابع  
الابتدائي. أتذكر ذلك وأنا أعود إلى تاريخ وفاة أبي في الرابع عشر من  
أغسطس ١٩٦٤.

وقتها كنت على مشارف بداية عام دراسي جديد وهو الصف  
الرابع الابتدائي. توفي والدي وأنا في العاشرة من عمري ولكن إحساسي  
بفقدته جعلني أكبر من هذا العمر بكثير.

وأنا في طريقي إلى المدرسة أثناء العطلة الصيفية كي ألحق بأصدقائي  
الذين كانوا يتجمعون في فناء المدرسة يلعبون الكرة ويتسامرون.

قابلت الأستاذ شوقي، كانحنونا معي ربما شعر بحالة يتمي وأنا في عمر مبكر. ورغم مرضه الشديد الذي كان يعاني منه وهو مرض السكر فقد بذل جهدا كبيرا وهو يحاول أن يواسيني وطلب مني أن أذهب معه إلى بيته الكائن بجوار المدرسة، وحين دخلت انبهرت بالكتب الكثيرة التي ملأت غرفته، نظرت مشدودا إليها. نبهني قائلا:

- القراءة هي علاجي مما أعانيه وأتمنى أن تحبها كما أحببتها حتى تخرج من حزنك.

اخترت بعض الكتب، ربما من وجهة نظره تناسبني وأهداها إلي. سررت كثيرا برائحة الكتب وجمال أغلفتها، تركته وانصرفت عائدا إلى البيت وبدأت في تصفح الكتب وأحسست أنني قد عثرت على ضالتي.

قبل أن يموت أبي يعامين ذهبت معه إلى معلمة تجمعنا بها صلة قرابة كان اسمها روابيح فوجدت عندها كتباً كثيرة. حاولت أن أحصل منها على أي كتاب لكنها رفضت. فبكيت كثيرا.

كنت أكبر إخوتي.. أربع بنات صغيرات متتاليات في العمر وأخي الأصغر الذي لم يتجاوز عمره عامين.

بدأت مرارة اليتيم تقل شيئا فشيئا بفضل قراءة الكتب التي حصلت عليها من الأستاذ شوقي.

## الأستاذ غديري

في بدايات السبعينات من القرن الفائت وحين كنت أزحف إلى الثانوية العامة ونحن في مدرسة المركز التي تبعد عن القرية مسافة سبعة كيلو مترات، جاء إلى مدرستنا مدرس رياضيات من نوع متميز. والتميز هنا يأتي بسبب ما يتمتع به هذا المدرس من صفات تختلف كثيرا عن زملائه الآخرين في مدرستنا.

شاب طويل عريض موفور الصحة حسن الملامح ذو صوت متميز قاهري المنشأ والتربية، مخلص في عمله، لا يفكر في المال بالطريقة الشرهة التي كان يفكر بها معظم المدرسين. كان اللقاء الأول معه في مكتبة المدرسة هكذا أراد وبدأ يتحدث عن نفسه: - اسمي غديري أمين، وأمين ليس اسم والدي لكنه اسم اشتهرت به وهذا الاسم له علاقة باسمي على أمين ومصطفى أمين.

- الآن أدركتم أنني مارست الصحافة وبسبب عشقي لها أطلق أصدقائي علي هذا الاسم. غديري أمين.
- سألته بسذاجتي الريفية:
- لكنك مدرس رياضيات تهتم بالأرقام والنظريات. أجابني:
- هذا ما أردت أن أوضحه لكم. لا مانع أن يكون الإنسان طبيباً وأديباً ومهندساً وشاعراً.
- تعرفون د. يوسف إدريس ود. مصطفى محمود ود. إبراهيم ناجي وأيضاً المهندس الشاعر على محمود طه، لكن الصحافة تحتاج إلى من يتفرع لها وأتمنى أن تكون مهنتي هي هوايتي في يوم ما.
- ورغم أنه لم يكن متخصصاً في علوم وفنون الصحافة إلا أنه علمنا كثيراً من مفردات العمل الصحفي مثل فن الخبر وكيفية إجراء حوار وفن المقال الصحفي وأساليب التحليل وكيفية التحقيق الصحفي.
- وأصدرنا مجلة باسم المدرسة، احتضنا بأدبه وعلمه وحنانه.
- جعلنا نعشق الكلمات قبل الأرقام، أما أنا فقد أسرتني عبارة الطبيب الأديب وأصبحت متيماً بها وقد زاد من ذلك المسلسل الإذاعي الرائع وقتئذ عن حياة وأعمال الشاعر الراحل إبراهيم ناجي يبدأ المسلسل بهذه العبارة: طبيب بين الأدباء.. أديب بين الأطباء.

ولم أكن أعرف من أشعار ناجي حينئذ إلا قصيدة الأطلال التي تغنت  
بها كوكب الشرق الراحلة أم كلثوم ومن ألحان العبقري الفذ الراحل رياض  
السنباطي:

يا فؤادي لا تسل أين الهوى      كان صرحا من خيال فهوى  
اسقني واشرب على أطلاله      وارو عني طالما الدمع روى  
وعلمت بعد ذلك أن السيدة الراحلة أم كلثوم قد غيرت يا فؤادي رحم الله  
الهوى إلى يا فؤادي لا تسل أين الهوى؟

استمر حلم الطبيب الأديب معي حتى التحقت بكلية الطب وكنت قد  
أدمنت القراءة وبدأت أحبو في عالم الكتابة، وكما يقولون دوام الحال من  
الحال لقد تحولت عن كلية الطب بسبب ظروف في الاجتماعية فقد كنت  
العائل الوحيد لأسرتي بعد وفاة أبي ومن ثم لا بد أن ألتحق بكلية نظرية  
تسمح بأن أعمل وأدرس في آن واحد، وتكشف لي بعد ذلك أنني كنت  
مسحورا بالعبرة فقط، لأنني لا أميل إلى ممارسة الطب وهكذا فقدت الجزء  
الأول وهو الطبيب ولم يتبق لي سوى الجزء الثاني والأخير وهو الأديب.  
وهذا ما أسعى إلى تحقيقه حتى هذه اللحظة.



## أحمد زرزور

في عام ١٩٨٤ استلمت العمل كمدير لإحدى المدارس الخاصة.

كنت قد اكتسبت خبرة لا بأس بها خلال علمي في عدد من المدارس، وقد أهلني ذلك لمهمة الإدارة وأثناء إطلاعي على سجلات التلاميذ في المدرسة لاحظت اسم زرزور. وكنت قد قرأت له أشعارا في بعض المجلات الثقافية. استدعيت التلميذة التي تحمل هذا الاسم وحين سألتها قالت في فخر واعتزاز:

- نعم أنا ابنة الشاعر أحمد زرزور.

طلبت منها رقم التليفون وهاتفه وقلت له إني مجرد هاو ومتذوق للأدب بنثره وشعره، شعرت بمدى السعادة في صوته وهو يقول لي:

- أتمنى أن تشارك معنا في ندوة الأربعاء بورشة بولاق الدكرور، سررت كثيرا بهذه الدعوة واشتقت إلى عودتي مرة أخرى لهذا المجال الذي عشقته منذ الصغر، كنت أسكن خلف المكتبة حيث تقام ندوة الأربعاء أو مسمى الورشة الأدبية وقد صك هذا المصطلح قبل غيره.

زرزور هو المايسترو في هذه الورشة، همزة الوصل بين جميع الأصدقاء ومركز تجمع كل الأفكار والجهود وإعادة بلورتها في سياق ثقافي يتفاعل فيه الجميع، مثل مجلة جسور التي أنجزناها بالجهود الذاتية وقد صدر عدد واحد منها عام ٨٧. وباعتباره عضوا مثقفا قادنا إلى التنوع الثقافي والالتزام بالمجتمع الذي نعيش فيه.

لم ننشر قصصا وأشعارا ومقالات فحسب، وإنما أجرينا حوارا مع المفكر الإسلامي محمد عمارة وقمنا بتحقيق عن مشاكل التعليم والتقينا برئيس قطاع بولاق الدكرور التعليمي الراحل محمد ربيع.

وتطرق الحوار إلى كل صغيرة وكبيرة في مجال التعليم في هذا الحي الذي عرفنا فيما بعد أنه عشوائي، ثم توالى الإصدارات بعد ذلك منها (مجلة مسار ١ - مسار ٢ - مسار ٣).

اجتهد زرزور في صياغة مشروع يجمع بين المفكر الإسلامي المستتير والأفكار اليسارية، فقد كان اشتراكيا حتى النخاع. اختلفنا كثيرا، ومع كل اختلاف تزايد أواصر الصداقة بيني وبينه.

تحمل زرزور الجميع واستوعبهم: حازم شحاتة وخيري عبد الجواد  
ومجدي إبراهيم وكوثر مصطفى الماحي ونادر ناشد وبدوي راضي ومحمد  
عبد الراضي ومحمد حامد.

وفي مجال الغناء أحمد فكري وعلى الهلباوي وكثيرين.  
وفي الورشة لم نترك كاتباً أو أديباً إلا وأجرينا لقاء معه.  
منهم الغيطاني والقعيد وإدوارد الخراط وحلمي سالم وحسن طلب  
ومحمد جبريل ومنصر القفاش ونعمات البحيري وزينب العسال وغيرهم  
كثير.

تميز زرزور في كتابة قصيدة النثر ولكنه كان أكثر جمالا في الكتابة  
للطفل وقد قلت له يوما:

سوف تكون واحدا من أهم الكتاب في مجال الكتابة للأطفال.  
وبعد ذلك بسنوات قلائل حصل على جائزة الدولة التشجيعية في أدب  
الأطفال عن ديوانه "ويضحك القمر" وانطلق في عالم الكتابة للأطفال إلى  
أن أصبح رئيس تحرير مجلة قطر الندى هذه المجلة التي كان له فضل كبير مع  
آخرين في إصدارها وتميزها ومع ذلك فقد عانى كثيرا من بعض المسئولين  
الكبار، حين أرادوا إزاحتها عنها لم تكن "قصر الندى" بالنسبة له مجرد مجلة  
بل كانت معشوقته.

وأثناء هذا الصراع الدائر والذي كان فيه مقاتلا شرسا وعنيذا تناوبت  
عليه الأمراض من سكر وكبد وغيرها.

ويرجع الفضل إليه في توجيهي إلى مجال النقد والترجمة.  
واستفدت منه كثيرا وكنت أقول أمام الجميع لقد خرجنا جميعا من  
معطف زرزور تيمنا بالعبارة المعروفة:

"لقد خرجنا جميعا من معطف جوجول"

تضايق البعض من هذه العبارة. كثير من الناس لا يعترفون بفضل  
الآخرين عليهم ويغضبون لو ذكرهم أحد بذلك، لكنه كان يستوعب  
الجميع.

ترقى زرزور فأصبح مسئولا كبيرا في الهيئة العامة لقصور الثقافة إلا أنه  
لم ينقطع عنا ولم ينقطع عنه. كان يحب ونس بولاق الدكرور ولمة الناس  
والإحساس بالدفع الإنساني.

هذا الرجل الطويل النحيف رقيق القلب والمشاعر، هذا الوجه المبتسم  
الذي يجعلك تحبه عند أول لقاء.

وفي آخر سنوات حياته عاش وحيدا في شقة متواضعة.

لم يكن طموحه ماديا على الإطلاق، وكان ذلك سببا في مشاكل عائلية  
كثيرة. كان أهم ما يعينه أن يجد قوته المتمثل في وجبة متواضعة لا تتعدى  
القول والبصل وكتبا يقرأه وورقه وقلم.

كان أقرب إلى المتصوفين رغم حبه وإقباله على الحياة. وكما عاش زرزور  
وحيدا، مات وحيدا ولم يكن بجواره أحد.

## عبد الوهاب مطاوع وساعات من العمر

عبد الوهاب مطاوع من فرسان الكلمة الذين لمعوا في عالم الصحافة وقد استطاع أن يجعل صوت الأديب في انسجام وتوازن مع صوت الصحفي.

أما كتاب "ساعات من العمر" والذي يعزف به على وتر السيرة الذاتية، فقد كان الصدق أبرز معالم هذه السيرة التي يحتفظ صاحبها بروح التواضع، كما أن اتصال حياته بكثير من الأحياء جعله يتغاضى عن بعض ما يسيء إليهم، ويحذف مالا تطاوعه نفسه على إثباته مؤمنا بأن الأشخاص الذين يصلوننا بأنفسهم وتجاربهم هم الذين ينيرون أمامنا الماضي والمستقبل. كما استطاع صاحب السيرة أن يدرج المعاني الكلية ويستخرج منها النماذج الإنسانية ويستنبط العبرة من الأحداث التي احتارها.

وما حياة الكاتب إلا تجارب وأحداث ينفعل بها ويتفاعل معها وتختلط في أعماقه بذكرياته السابقة. وآماله واحباطاته القديمة.

وقد اعتمد الكاتب على عملية الاختيار، فهي ساعات من عمر الكاتب في مراحل وأماكن وأحوال مختلفة، من الطفولة إلى الصبا والمراهقة ومن المرحلة الجامعية إلى مرحلة العمل ثم الزواج، وما بعده ومن القرية إلى المدينة، وفي مصر وخارجها، ومن الصحة إلى المرض ومن الاخفاق إلى النجاح، وخلال الرحلة نتعرف على أصدقاء الكاتب وهم كثير من الكتاب والأدباء والموسيقين والناس العاديين، فهو يجد في هذه الصداقة المتعة الروحية والثقافة ويؤكد ذلك حين يقول "ماذا يساوي الشراء حيث لا يجد الإنسان أصدقاء حقيقيين يرتاح إليهم ويرتاحون إليه ويأمنون به؟!"

إن فيه هذه السيرة تبدأ من عملية الاختيار، حيث يحذف الكاتب ما يحذف ويبقي ما يبقي، لأن الذاكرة لا تنسى فحسب بل هي تفلسف الأشياء الماضية، وتنظر إليها من زوايا جديدة، لأنها في عملية كشف مستمر فالماضي لا يمكن استرجاعه على حاله ولا مناص من تغييره بوعي أو بغير وعي، وهذا ما حدث لصاحب السيرة حين شهد في طفولته حادث غرق صديقه، فقد كان هذا الحادث البداية في تشكيل وعي الكاتب وفي ذلك يقول: كأنما قد حدد هذا الحادث المؤلم في طفولتي الكثير والكثير من سمات تكويني النفسي وطريقة تفاعلي مع آلام الحياة المختلفة ومؤثراتها وأسهم أيضا في إيماني الدائم بأن الحياة قصيرة مهما طالت، وبأنه من الحكمة ألا يطمئن إليها الإنسان كل الاطمئنان مهما بدت مطمئنة ووادعة.

ليست الأحداث وحدها هي التي شكلت تكوين صاحب السيرة فالقراءة والإطلاع في كافة مجالات المعرفة، ولا سيما في الأدبين العربي والعالمي والتواصل مع هذه الرموز الإنسانية كل ذلك بمثابة مصابيح يهتدي بها الكاتب في رحلة الحياة كما أنه يتأسى بتلك الرموز من أمثال الشاعر الهندي العظيم "طاغور" والعبري الروسي "تشيكوف" والكاتب المسرحي الأمريكي "أرثر ميلر" والفيلسوف الإنجليزي "برتر أندرسن" ومن فرنسا "فكتور هوجو" البيركامي ومن الأدباء العرب العقاد والحكيم ونجيب محفوظ وصالح عبد الصبور وغيرهم.

إذ كانت الصداقة والقراءة والموسيقى والكتابة هي مصادر متعة الكاتب الروحية والثقافية، فإن هذه المصادر تستمد وجودها من كثر لا مثيل له هو الصحة، يقول صاحب السيرة جاعني صوت الجراح يهنئي، وكنت قد غادرت الحمام لتوي متألماً، واستقليت في الفراش ألتقط أنفاسي، فقال لي: مبروك دخولك مجلس إدارة الأهرام، فوجدت نفسي أجيبه - بلا وعي - بأن دخول الحمام بغير ألم أهم عندي من دخول مجلس إدارة الأهرام أو حتي مجلس الأمن.

إذا ماذا يساوي أي شيء في الحياة والإنسان يتألم ويتوجع؟!

ورغم هذا التوجع فإن السيرة لا تخلو من روح السخرية والدعابة وخاصة حين يكتب عن أساتذته في عالم الصحافة وعلى رأس هؤلاء الأستاذ هيكل والأستاذ أحمد بهجت.

أما الشخصيات الثانوية فقد نجح الكاتب أن يبعث الحياة فيهم ويحركهم ويسير بهم في مراحل الحياة ولم يستخف بهم.

رحم الله الأديب والصحفي والإنسان الخلق عبد الوهاب مطاوع فقد كان فارساً من فرسان الكلمة.

## عبد الغفار مكاوي.. مترجما

يقول درايدن: يبدو لي أن السبب الحقيقي في أننا لا نحصل إلا على مترجمات قليلة هو قلة الذين لهم جميع الكفايات المطلوبة للترجمة ونقص الثناء والتشجيع على مثل هذه الناحية المهمة من الثقافة.

ومع ذلك فقد ظهر خلال العصور مترجمون بارعون رفعوا مقام هذا الفن ومنحوه شيئا من الإجلال والحركة يأتي اسم المبدع والمترجم والكاتب والباحث الأستاذ الدكتور عبد الغفار مكاوي، ليحتل مكانا متميزا وسط هذه الكوكبة في هذا الحقل الأدبي والثقافي المهم جدا وحيث أن المترجم فنان فهو إلى جانب إطلاعه اللغوي ينبغي أن يكون متحليا بروح الفن ومطلعا على الموضوع الذي يقوم بترجمته، وتتضمن الترجمة إلى جانب ترجمة الألفاظ والمعاني ترجمة أسلوب الكاتب وروحه فقد توفرت كل هذه الخصائص لدى مترجمنا القدير وسوف نقف عند بعض المحطات في حياة د.

عبد الغفاء مكاوي، لتبين تلك البذور الفكرية والإبداعية فالترجمة إبداع من إبداع أو إبداع على إبداع، لأن إلهام فيها ضروري وبدونه تغدو ميتة لا روح فيها والفرق بين الترجمة الملهمة والاعتيادية كالفرق ما بين الشعر والنظم.

وفي عام ١٩٣٧ دخل عبد الغفار مكاوي المدرسة وبدأ وعيه يتفتح على حب اللغات والاهتمام بالفنون وفي عام ١٩٤٧ عندما قرأ "آلام فيرتر" لشاعر الألمان الأكبر "جوته" رواده إحساس غامض - كما يقول - بأن مصيره سوف يرتبط بهذا الشاعر الفيلسوف لم يعلم في ذلك الحين أنه سوف يرتبط ذلك بالأدب والفكر الألمانيين.

كما أقدم على تعلم اللغة الإيطالية في معهد "داني الليجيري" بالقاهرة والحصول على منحة لمدة ثلاثة أشهر عام ١٩٥٣ للدراسة بجامعة "بيروجيا للأجانب" ثم التركيز من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٥٧ على دراسة اللغة الألمانية مع الالتحاق بمدرسة الألسن كما أنه حصل في عام ١٩٥٧ على منحة لمدة عشرة شهور للدراسة في ألمانيا، وهكذا نرى أن حب اللغات ودراساتها وعشق الفنون قد تجذر وتأصل في وجدان مترجمنا القدير الذي درس الإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية، لكن اللغة الألمانية تأتي في المرتبة الأولى من حيث الإتقان والإجادة والتجويد، بل استأثرت بنصيب

الأسد في مترجماته التي نقلها إلى العربية عشقة الأول والتي امتزجت بروحه منذ الصغر وأيام النشأة الأولى.

ومنذ البدايات عشق د. عبد الغفار مكاوي الشعر والمسرح وكتب الشعر وما زال يكتب المسرح وارتبط عنده المسرح بالشعر منذ البداية وأعتقد أن فن المسرحية الشعرية هو المعادل لوجدانه وفكره إبداعيا وقد نحى الإبداع جانبا لأسباب سوف نوردها بعد ذلك أما المسرح فقد ألقى فيه بنصيب لا بأس به، وهذا يفسر اتجاه د. عبد الغفار مكاوي إلى ترجمة الشعر والمسرح فقد استاثرا الاثنان بالنصيب الأكبر في مترجماته فهل كان التركيز عليهما ترجمة نوعا من التعويض الإبداعي؟ أو بمعنى آخر أفرغ طاقته الإبداعية في ترجمة الشعر والمسرح وكان هذا العشق سببا رئيسيا في تميز مترجماته، فهو لم يترجم أعمالا قد فرضت عليه أو تم تكليفه بها دون رغبة منه وإنما العكس هو الذي حدث، فقد حب واختار وترجم فتفرد وهذه أول خصيصة من خصائصه كمترجم وقد نطلق عليها "العاطفة" هذه العلاقة الخاصة جدا بينه وبين العمل المترجم، بل، ومؤلفه والتي تجعله يتعايش معه ويتشرب روحه حتى أن د. عبد الغفار مكاوي يصف هذه العملية بأنها أشبه ما تكون بتناسخ الأرواح وهنا يكمن الإبداع وتصبح الترجمة - بالفعل - إبداعا على إبداع لأن المترجم لا ينقل إلينا ألفاظا وعبارات وإنما ينشئ لنا روح العمل في لغتنا العربية.

ورغم هذا الإبداع الذي يتحقق أحيانا في عملية الترجمة فإن عملية التطابق بين النص الأصلي والترجمة صعبة التحقيق، فدائما يوجد ما يسمى بفائض الترجمة، لأنه يجوز للمترجم أن يضيف إلى المعنى الأصلي شيئا من عنده لتقويته. وهو ما يعرف بالمعنى المضاف إضافة تركيبه أو يحذف معنى ثانويا لا رئيسيا إذا وجد أن ذلك يضعف من قوة النص الأصلي، وهذا الحكمة في الزيادة أو الحذف من خلال توخي الدقة وهي ما يميز منهج د. عبد الغفار مكاوي في الترجمة فإذا كانت بعض الألفاظ أو التراكيب تعود إلي أصول لاتينية أو يونانية فإنه يقوم بعملية التحقق والتحقيق وسوف نعرض لذلك بشيء من التفصيل في تناولنا لإسهاماته في ترجمة الشعر والمسرح، ولن نتعرض لإسهامه في مجال ترجمة الفلسفة والفكر، ولعل ذلك يكون موضوعا آخر للبحث في مرة قادمة.

### ترجمة الشعر :

أصعب ما يمكن ترجمته هو الشعر لأنه يحتاج إلى ملكة خاصة ويؤكد هذا المعنى د. عبد الغفار مكاوي نفسه فيقول : "أجل! إن ترجمة الشعر أشبه بالمخاطرة في أرض حرام في منطقة غامضة تقع على الحدود الغامضة أيضا بين الإنشاء أو الإبداع الخالص، وبين النقل الحرفي الدقيق والأمين، والسبب بسيط فهي تحاول إعادة إبداع عمل سبق إبداعه، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار الإمكانيات الخاصة جدا بمترجمنا القدير ومنها عشقه لكل من العربية

والألمانية وتمكنه فيهما، فضلا عن عشقه الخاص لترجمة الشعر والذي بدأت رحلته معه منذ البدايات وهذا ما عبر عنه د. عبد الغفار مكاوي فيقول:

"توقفت عن الشعر تماما بعد تعرفي إلى صديق العمر المرحوم صلاح عبد الصبور واقتناعي بعدم أصالة موهبتي فيه وإن لم يمنع هذا من مواصلة قراءتي له واهتمامي الدائم بعد ذلك بترجمته ودراسته ونثر بعض مقطوعاته خلال مسرحياتي المتواضعة".

ويمكن القول إن ترجمة الشعر بوجه خاص لا يجوز أن يقترب منها إلا شاعر كبير في لغته أو على الأقل إنسان سمنته حساسية الشعر، وأعتقد أن مترجمنا القدير يمثل الحالة الثانية فهو مسكون بالشعر منذ النشأة الأولى.

بدأت رحلة د. عبد الغفار مكاوي مع ترجمة الشعر بترجمة بعض قصائد الشاعر والكاتب المسرحي الشهير برتولد برشت، وقد نشرت في مجلة المجلة عام ١٩٥٨، ثم توالى اهتمام المترجم وانشغاله ببيرشت بعد رجوعه إلى الوطن في أواخر سنة ١٩٦٢، فترجم عددا كبيرا من مسرحياته وأشعاره التي ظهرت في سنة ١٩٦٧ تحت عنوان "قصائد من برشت"، وقد صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب عام ١٩٩٩ بعنوان "هذا هو كل شيء" قصائد من برشت عن دار شرقيات. بمقدمة ثانية للمترجم ومعها مقدمة الطبعة الأولى أيضا وإذا أردنا أن نستكشف بعضا من جماليات هذه الترجمة فقد تساعدنا قصيدة "عن الرجال العظام" في ذلك.

## عن الرجال العظام ١٩٢٦

- ١ -

الرجال العظام يقولون أشياء كثيرة غبية.  
يتصورون أن جميع الناس أغبياء.  
والناس لا تقول شيئاً وتتركهم يعملون.  
بهذا يدور الزمن دورته.

- ٢ -

لكن الرجال العظام يأكلون ويشربون.  
ويملاؤون البطون.  
وبقية الناس نسمع عن أعمالهم.  
ويأكلون كذلك، ويشربون.  
احتاج الإسكندر الأكبر لكي يعيش.  
إلى مدينة بابل العظيمة.  
ولقد وجد أناس آخرون.  
لم يشعروا بأنهم في حاجة إليها - أنت واحد منهم.

- ٣ -

كوبرينكوس العظيم لم يخلد للنوم.

كان في يده منظر مقرب.  
ظل يحسب حتى عرف أن الأرض تدور حول الشمس.  
فاعتقد عندئذ أنه فهم السماء "بشكل أفضل".

- ٤ -

برت برشت العظيم لم يفهم أبسط الأشياء.  
وراح يفكر في أصعبها: كالعشب على سبيل المثال  
أخذ يمتدح نابليون العظيم.  
لأنه كان يأكل مثله الطعام.

- ٥ -

الرجال العظام يتصرفون كأهم حكماء.  
يتصرفون كأهم حكماء.  
ويتكلمون بأصوات مرتفعه - مثل الحمام.  
والرجال العظام ينبغي تكريمهم.  
لكن لا ينبغي تصديق "ما يصدر عنهم من كلام".  
وتوالت الترجمات بعد برشت فقد قرأ المترجم بعض أغنيات سافو أول  
شاعرة غنائية في تاريخ الأدب العربي والتي قال عنها "أجذبت إليها عن غير  
وعي متأثراً بحبي القديم لعللي محمود طه وأشعاره وأغنياته إلى شاعرة الحب

والجمال وظهرت ترجمة الشذرات الكاملة عن دار المعارف سنة ١٩٦٦، لكن المشروع الأكبر كان كتاب "ثورة الشعر الحديث" والذي استغرق حوالي ست سنوات من العمل المضني ولم يتم د. عبد الغفار مكاوي بالترجمة الحرفية في هذا المشروع وقد صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب بعنوان:

"ثورة الشعر الحديث" من "بودلير إلى العصر الحاضر" عام ١٩٩٨ عن دار أبوللو ومن خلال مقدمة الطبعة الثانية نستطيع أن نتعرف على الدوافع والأهداف المرتبطة بهذا السفر الضخم الذي جاوزت عدد صفحاته الستمائة، يقول د. عبد الغفار مكاوي في هذه المقدمة "فأما عن الاختيار، فقد التزمت بفترة زمنية محددة لا تتجاوز منتصف القرن العشرين كما تقيدت بمجال معين لا يتجاوز الآداب الفرنسية والأسبانية والإيطالية والألمانية" والكتاب لا يفكر في تقديم لوحة شاملة أو بانوراما - تضم كل أعلامه - لأن مثل هذه المحاولة تخرج عن هدف الكتاب، ثم أنها تفوق قدرة إنسان واحد وحياته، ولذلك اكتفيت من الشعراء الثلاثة الكبار بودلير ورامبو ومالارمية، بالنصوص الواردة في متن الدراسة ثم أضفت إليها في المختارات بعض قصائد من "فيرلين" حتى تتم صورة هؤلاء الأربعة الكبار، وحتى تكون المختارات تطبيقاً للمبادئ النظرية التي يعالجها الجزء الخاص بالدراسة.

نستنتج من ذلك أن هذا الكتاب لم يستند على الترجمة وحدها، وإنما تداخلت معها عناصر أخرى مثل الفكر النقدي والاختيار المنهجي، والقدرة على الربط بين ما هو تنظيري وما هو تطبيقي والذوق الخاص للمترجم المؤلف، ويؤكد هذا المعنى د. عبد الغفار مكاوي في مقدمة الكتاب "أنني تذوقت الكتاب الذي اعتمدت عليه واعترفت بفضل عليوديني الكبير نحوه وأنني لم أترجمه حرفياً، وإنما التزمت بعرضه التاريخي والموضوعي وخصائصه الأساسية لإيماني بأن أهل هذا الشعر أدري به منا وأكثر قدره على تفسيره ووضعه في سياقه الحضاري واللغوي والفكري والاجتماعي والعلمي المتطور، ثم أضفت إليه من مراجع مختلفة وزدت عليه، ويكفي في هذا الصدد أن أقول إن متن الكتاب الأصلي مع استثناء المختارات الشعرية المحلقة به لا يصل إلى مائة صفحة أصبحت عندي سبعمائة، وأذكر أنني أرسلت نسخة من الطبعة العربية في أوائل السبعينات للأستاذ فريدريش، وشرحت له مدى تصرفي في الكتاب مع التقيد التام بالمعلومات الواردة فيه. وردّ عليهما يفيد تفهمه وتقديره ثم اتجه المترجم بعد ذلك إلى شاعر الوحدة والاكْتِتاب والحنين سفريد ريش هلدريش فترجم معظم أشعاره وأناشيده الكبرى في إطار شبه روائي ضم سيرة حياته المأساوية، ثم كتاب (قصيدة وصورة) والذي ضم عدداً كبيراً من الترجمات الشعرية، وكان موضوعه تأثر الشعراء عبر العصور أو ترأسلهم مع الفنون التشكيلية، وصدر عن عالم

المعرفة في الكويت عام ١٩٨٧ وكتاب (حكمة بابل) الذي صدر عن نفس السلسلة وضم كل نصوص ما يعرف في علم الأشوريات باسم أدب الحكمة البابلية وهي قصائد طويلة تغني فيها أصحابها المجهولون برثاء النفس والظلم الواقع عليهم، ويستمر مترجمنا القدير في رحلته لاستكشاف مناطق شعرية جديدة حتى يصل إلى الشاعر الإيطالي (جوسي أنجاري) والذي ولد بالأسكندرية في عام ١٨٨٨، ومات في ميلانو عام ١٩٧٠ هذا الشاعر الكبير الذي يعد رائدا للتجديد في الشعر الإيطالي في القرن العشرين، والذي أسس مع زميله اتجاهها شعريا عرف باسم (الهرميتيزم) أو الألغاز وصدر الكتاب بعنوان: "يا أخواتي" قصائد مختارة من شعر أنجاري في سلسلة أفاق الترجمة عام ٢٠٠٠ ومن قصيدة بعنوان (سماء صافية) يقول الشاعر:

بعد الضباب الكثيف  
تتجلى النجوم  
واحدا بعد الآخر  
أتسفس النفس النضارة  
التي تغدقها عليّ  
السماء الصافية  
أدرك من جديد  
أنني صمورة زائلة  
تندمج في دورة أبدية

وقد اعتمد مترجمنا القدير في هذه المختارات على الترجمة الألمانية التي قامت بها الشاعرة الكبيرة "انجبورج باخمان". والدراسة التي ألحقتها بها مع الحرص على قراءة الأصل الإيطالي بمساعدة القاموس والترجمة ومراعاة الدقة والأمانة والتعاطف إلى حد التقمص مع روح النص وجسده، وفي سلسلة آفاق عالمية أيضا صدر كتاب الزيتونة والسنديانة عام ٢٠٠١، وهو مدخل إلى حياة وشعر عادل قرشولي مع النص الكامل لديوانه "هكذا تكلم عبد الله" وفي دراسة رائعة يقدم بها د. عبد الغفار مكاوي ترجمة الكتاب.

(زيتونة وسنديانة) يقول: ربما كانت هذه الاستعارة أصدق وصف لحياة عادل سليمان قرشولي وانجازه الأدبي الثقافي ورسالته التي كرس لها جهوده ووهبها وجوده، هذا الشاعر السوري الأصل الذي يعيش ويعمل ويعلم ويبدع ويشارك مشاركة فعالة في الحياة الشعرية والثقافية في مدينة "ليبنزنج" الألمانية منذ ما يقرب من أربعين عاما متصلة، لقد قدم د. عبد الغفار مكاوي جهدا عظيما وإسهاما رائعا في ترجمة الشعر وأعتقد أنه من الصعب تقييم هذا الجهد من خلال مقالة واحدة، فمترجمنا القدير لم يقبل على عمل إلا وأعطاه حقه من العمل والصبر والجهد والدأب وأصبح ذلك سلوكا راسخا عنه وأسلوبا خاصا به .

إن مقدمات الترجمات التي كتبها تعتبر بحق مثالا لما يجب أن تكون عليه الدراسة النقدية، إنه يغوص في حياة الشاعر وتجربته الحياتية والظرف المكاني

والزماني الذي يعيش فيه. فضلا عن دراسة كافة المؤثرات أيا كان نوعها على إبداعه ومن خلال ما أبدعه الشاعر يرسم د. عبد الغفار مكاوي لوحة متكاملة الأبعاد ومتعددة الظلال والألوان للمبدع وإبداعه، إنه لا يستسهل ولا يستعجل ولا يبحث عن عائد سريع أو مردود عاجل وإنما يكرس جهده وعمله ومواهبه من أجل أن تخرج الترجمة أقرب ما تكون إلى روح التمام والكمال - أقول أقرب لأن الكمال لله وحده.

### ترجمة المسرح :

مارس د. عبد الغفار مكاوي المسرح تأليفا وترجمة قد أحبه إلى درجة العشق، وقد ارتبط اهتمامه بالمسرح منذ البداية وحتى اليوم بدراسة الفلسفة وتدريسها وهو يعترف بذلك فيقول: "ربما كان عشقي للسيرك في سنوات الطفولة هو الأب الشرعي لجنوني بالمسرح تأليفا وترجمة ودراسة ومتابعه لعروضه في الداخل والخارج"، ولذلك حينما اتجه إلى ترجمة المسرح فقد أبدع وتميز ومعظم النصوص المسرحية قام بترجمتها عن الألمانية، وحين كان يعمل مترجما القدير في دار الكتب المصرية وقع في يده كتاب صدر بالفرنسية عن الشاعر والكاتب المسرح برشت وتضمن نص مسرحيته التعليمية "الاستثناء والقاعدة" مع عدد كبير من الكتابات النظرية عن ظاهراته الملفتة للأنظار، فقام بترجمة هذه المسرحية المثيرة والمستفزة عن الفرنسية، ووجدت طريقها للنشر في مجلة الهدف في نفس العام ثم حصل

على منحة بعد ذلك من ألمانيا الغربية وتوفر له دراسة الفلسفة والأدب الألماني الحديث لما يزيد عن خمس سنوات، وبعد أن تمكن من اللغة الألمانية تابعت الترجمات على فترات مقاربة "محاكمة لوكولوس" مع الاستثناء والقاعدة عام ١٩٥٦ والسيد بونتيل وتابعه ماتي عام ١٩٦٧، وقد صدرت كذلك ضمن كتاب عن المسرح التعبيري عام ١٩٧٤، ثم ترجم أثناء وجوده بجامعة الكويت في أوائل التسعينات أوبرا ماهاجوني "ازدهار وسقوط مدينة ماهاجوني" ترجمة شعرية.

أما الكاتب جورج بشنر "١٨١٣ - ١٨٣٧" فقد ترجم مسرحياته الكاملة، وهي لا تزيد عن مسرحية من خمسة فصول هي موت دانتور ومسرحيتين قصيريتين وقد صدرت هذه المسرحيات عن هيئة الكتاب في طبعتين كاملتين في سنتي ١٩٧٩، ١٩٩٢ ثم قام بترجمة مسرحية "توركواتو سو" لشاعر الألمان الأكبر جوته "١٧٤٩ - ١٨٣٢" وقد صدرت عن سلسلة المسرح العالمي عام ١٩٩٦ ثم قام بترجمة مسرحيتين لأبرز كتاب المسرح الألماني من الجيل الثالث بعد بريشت وهو تانكريد دورست "١٩٢٥" وهما مسرحية "خطبة الإدانة الطويلة أما سور المدينة" فرنادو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب وقد صدرا في كتاب ضمن المشروع القومي للترجمة عن المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٩ م.

وقد قام مترجمنا القدير بمراجعة عدد من المسرحيات منها:

"سور الصين العظيم" لماكس فريش ، "وماراصاد" بيتر فايسو "نزوة العاشق" و"الشركاء" لجوته و"اقتسام الظهيرة" لبول كلوديل.

لقد استطاع د. عبد الغفار مكاوي أن يكون صادقا في ترجمة هذه المسرحيات، صادقا في نقل الألفاظ وصادقا في نقل المعاني، بل وصادقا في نقل ظلال المعاني وفي الأسلوب الذي تمثله تلك الظلال.

ومن مسرحية "فرناندو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب" هذا الجزء الصغير الذي يحمل روح المواجهة بين فرناندو كراب وجوليا تتكشف لنا إمكانيات د. عبد الغفار مكاوي في ترجمة المسرح الذي عشقه.

فرناندو كراب: ألاحظ الآن يا جوليا أن قدميك جميلتان جداً.

جوليا: لن تحصل على أبداً.. أبداً إلا إذا مت.

فرناندو كراب: ولكنك تحبيني يا جوليا.. أنت تحبيني الآن بالفعل!

ولهذا ستتزوجيني.

جوليا: باعني! واشتريني!

فرناندو كراب: تتصورين أنني أملك المال وأنت أنت السلعة.

جوليا: صارخة أجل! أجل!

فرناندو كراب: أنا لم أعرض على أبيك أي شروط عندما سلمته المال، لم أطالب بأي شيء أترفضين أن تحبيني؟!

ولكن هذا مستحيل مستحيل أن يرفض حي أي إنسان.

ومن خلال هذه القطعة السابقة نلاحظ أن المترجم قام بنقل الألفاظ والمعاني والأسلوب من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية بحيث إن المتكلم باللغة العربية يتبين النص بوضوح ويشعر به بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الألمانية.



## محمد مستجاب

"في صحبت روائي غير عادي"

عندما تجلس معه وتكون في صحبته فأنت مع شجرة وارفة  
الظلال تنوء بشمارها وربما توخزك بأشواكها، وفي الحالين  
أنت المحظوظ، لأن في الثمار متعة وفي الأشواك يقظة.

إنها شجرة الحكيم أو تل الحكايات أو محمد مستجاب، كلها  
 مترادفات لمعنى واحد، رائع حقا أن يمر الإنسان في حياته بهذا الكم الكبير  
 والمحيط الهادر من التجارب والخبرات والأحداث المتلاحقة والمتنوعة، وأروع  
 من ذلك أن يحتفظ بذاكرة حافظة تستطيع أن تستدعي ما يريده وقتما شاء  
 في تسلسل عجيب، ممسكا بكل خيوطها في براعة يحسد عليها، والأروع  
 من ذلك أن يبلور ما يحكي في إطار له ملامحه الخاصة وأغواره العميقة، كل  
 هذا في أسلوب عفوي تلقائي ينساب في هارمونية انسياب النغمات  
 الموسيقية المتواترة دون نشاز أو تباطؤ سمفونية الحكيم هنا مكتملة الأركان  
 سليمة البناء.

بدأت حكاية ذاك الكاتب المشاكس في ديروط الشريف، في أسيوط بمصر في الثانية والعشرين من يوليو عام ١٩٣٨، حيث المولد والنشأة في أسرة فقيرة بالكاد تستطيع أن توفر لقمة العيش لأفرادها، ويمكن أن نتوقع ما سوف يحدث لمن يولد في مثل هذه الظروف.

وبعيدا عن التوقع لا يخفي محمد مستجاب شيئا من معاناته وحياته المضطربة، والتي عضها الفقر بآنيابه، فيحكى عن أبيه وأمه وأخواته وجيرانه من المسلمين والأقباط، يحكي دون تحفظ من غير أن يجمل صورته مثما يفعل بعض الأدباء بعد أن يصلوا إلى مدارج الشهرة وهم يطنون أن ذلك من الواجهة الاجتماعية، وحتى لا تنقص أقدراهم في عيون الناس، فهل يعيب الكاتب المسرحي العالمي آرثر ملير أنه ظل يعمل بائعا للخبز فترة كبيرة من حياته، أو يعيب عملاق المسرح والشعر وليم شكسبير أنه كان يقوم بربط الخيل أمام المسرح للسادة الأمراء والأغنياء قبل أن يصبح كاتباً عظيماً، أو يعيب المفكر الكبير عباس محمود العقاد أنه عمل ملاحظاً للأنفاس في بداية حياته ولم يتعلم تعليماً نظامياً؟

لقد استوعب مستجاب هذا الدرس وأيقن أن الصدق لا يتجزأ وبدايته أن يصدق الإنسان مع نفسه حتى يصدقه الآخرون.

وقد مارس مستجاب أعمالاً كثيرة: كاتباً عند محامي، عاملاً بسيطاً في السد العالي، موظفاً بسيطاً في مجمع اللغة العربية... أعمالاً عانى فيها كاتبنا

الكثير والكثير، حياة لم تعرف الاستقرار المادي، حتى استقر به الحال كاتباً وصحفيًا منفردًا فيما يكتبه، وقد تكون هذه الانكسارات هي التي جعلت صوت إبداعه متميزاً، فمن عادة الأشياء المسكورة أن تحدث صوتاً دائماً، وقد كان الكاتب الكبير صبري موسى موفقاً حين وصف مستجاب قائل: "أحياناً يذكرني صديقي محمد مستجاب بالسحرة - الحواة لا مؤاخذة - حين يخرج حمامة من أذنه - لا تحاول أن تبتعد بالحمامة عن المعنى الذي أقصده - ثم يضعها على كفه ويمر عليها بكفه الأخرى فتصبح بيضه، يلقي بها أمام عينيك فإذا بزلومة يرطع في الساحة ساحباً خلفه ذيله القصير!"

هذا الفتى العجوز أو العجوز الفتى الذي ينتمي للصعيد بالمولد، ويعتبر بقية أقاليم مصر ضواحي لهذا الصعيد، يخفي وراء جلبابه التقليدي قلباً طفولياً طيباً جداً، لكنه عامر بشقاوة الطفولة وطقوس العرافين والكهنة ومعارف الفلاحين والكتبة من كل أقاليم مصر في بحري وقبلبي.

في هذه البيئة القاسية وبين هذه العائلات التي تعض بكل أنيابها على عادات وتقاليد راسخة تتسم بالخشونة لا تعرف المرونة أو التسامح، ولا سيما في الأمور المقدسة لديهم كالأخذ بالثأر أو المحافظة على الشرف، نبت مستجاب مثل عود من أعواد القصب، طويلاً شامخاً، ولكن بقلب بعيد كل البعد عن القسوة وملاحمه وإن كان يتباهى بلكنة الصعيد وجلبابه المحافظ مع آبائه وجوده في ديروط الشريف، لقد سمع ورأى فرحاً قليلاً

وحزنا كثيرا، وخبر وعانى بإحساس الفنان ومشاعر الأديب تلك الأحداث الموعلة في القسوة.

وفي قصته "موقعه الجمل" يصور انتقام أهل القرية من المدعو "الجمل" حين اجمعوا على قتله هو وزوجته وأبنائهم:

"وماجت أصوات مفزعة - وكاد الطفلان يعودان رعبا إلى الداخل - حينئذ تحركت بلطة سوداء تحركت بلطة سوداء صدئة ومارت في الجو، واندفعت في سرعة إلى رأس الطفل، ثم بلطة أخرى شرسة، وانشرخ رأس الطفل وسقطت قراعتها، وبلطة ثالثة تلمع - لثتمزق رقبة الطفلة - وارتمت الرقبة - إلى الخلف - بلطة إلى أعلى وبها قماشة الفستان.

هذه المشاهد التي يخترنها الكاتب في ذاكرته ووجدانه لا تفارقه أبدا، وإنما ينبجو من بعض تأثيرها المزلزل حين يكتبها وكأنه يقوم بعملية تطهير داخلي، لأنه يرى الأشياء ويستدعيها بإحساس الطفولة دون تفلسف أو تفسير يفسدها.

إنها بكاراة الرؤية، لأنه يتعامل مع الأشياء والأحداث وكأنه يراها لأول مرة، وقد أضفى ذلك نوعا من الطراجة على معظم ما يكتبه فأنت تقبض على الرغيف الساخن الذي خرج توا من الفرن، وذلك يجعل إبداع مستجاب متميزا من حيث اللون والطعم والرائحة.

عندما سألوا الكاتب المسرحي الفرنسي "فنري دي مونترلان" عن سر نجاح مسرحياته هذا النجاح المدوي رد قائلا:  
- لقد تعودت أن أقول في مسرحياتي وبصوت مرتفع تلك الأسرار التي لا يقولها الناس إلا همسا.

وهذا يتطابق إلى حد كبير مع ما يفعله مستجاب في كتاباته، إنه يقول ويحكى، يقص ويبلور كل ما هو قريب منه، يكتب عما يعرف ويشعر به وله مخزون في أعماقه، لكن حين يفعل ذلك لا يتحفظ ولا يتجمل رغم ما في أسلوبه من رشاقة وما في لغته من طزاجة، وما في سرده من فنية عالية وتشويق رائع سواء كان الإبداع قصصيا أو روائيا أو مقاليا.

هذه الرحلة الممتدة من ديروط الشريف في أسيوط إلى قلب القاهرة، والمتبعة بكل صورة المعاناة والألم، امتزجت بروح صاحبها الساخرة المتهمكة، حيث يختلط الضحك بالبكاء والمعاناة بالفكاهة.

إنه التنيكيت والتبكيك في آن لاتستطيع أن تفصل بينهما، يصف الناقد الكبير "إبراهيم فتحي" هذا الضحك الممزوج بالألم فيقول "يبدو أن الضحك الساخر له علاقة جمالية بالواقع، ووسيلة خاصة لرؤيته ولبناء صورة حية للشخصيات ولخلق حيكات مبتكرة واستنبات فروع جديدة إلى الأنواع الأدبية من قصة ورواية".

وهذا الضحك لا يجلجل مدويا في صخب يقرع الآذان، ولا يملؤنا فرحا، ولا ينهي توتراتنا من تناقضات الواقع بانفرجة للتنفيس كي يحافظ على الأوضاع والقيم الراهنة، ومعظم إبداعات محمد مستجاب تعتمد على هذه الثلاثية المتناغمة وهي:

### الذكاء والألم والسخرية

ذلك الذكاء الفطري البري المتوحش الذي يصل في تحليل الأحداث والظواهر إلى جذورها الأولى إلى بدايات التكوين، يساعده على ذلك امتلاكه لغة مخترقه وإحساس عبقرى بكل ما يحيط به، ولا يستسلم لمقولات الآخرين، فلديه معمل بسيط التكوين لكنه قادر على الفحص والدراسة والمقارنة والتحليل والاستنباط، ولا تملك إلا أن تندهش حين يمسك بفراشات الفكر ليطوعها ويبلورها ويفاجئك بها، أما الألم فهو عنصر جوهري في تكوين أدينا هذا الكاتب المشاكس، كما النار التي تحرق الذهب فتزيده لمعانا وبريقا، الألم الذي يصقل ويهذب ويعلم، ومع ذلك لم يخلق فيه إحساسا بالنقص، بل ولد لديه شعورا بالتحدي والمقاومة وهذا ما يجعله لا يفرح كثيرا عندما تأتيه الغنائم، ولا يحزن أبدا لفقدائها، فالألم عنده أن يحيا بكل ما في الكلمة من معنى، يستمتع بالمكان والزمان والأحداث، يتأمل الناس والبحار والجبال، ويتذوق الفن والفكر والموسيقى، يعشق الجمال والماء والهواء، يقدس الحب والصدقة والعمل أما السلاح الذي

يخفيه وراء ظهره فهو السخرية، فهو يستطيع أن يحول حتى الحديث العادي إلى مادة صالحة للتهكم والسخرية.

إنها مقدرة فذة لا يتمتع بها سوى القليل. إن ندرة هذا الأسلوب في أدبنا العربي يجعل من مستجاب فارسا لا يبارى في هذا المجال حتى إنه فعل ذلك وهو يقدم لنا "مستجاب الثالث" و"مستجاب الرابع"، وآل مستجاب جميعا".

وقد قال لي الكاتب ذات مرة إن هناك بعضا من أهله قد اشتد بهم الغضب بسبب ما يكتبه عنهم في قصصه ورواياته التي تفصح آل مستجاب قياما وانھیارا للكون الفني والعالم الواقعي سواء بسواء في أدق مظاهره وأهم عناصره.

### عالم مستجاب الروائي

إن ملكة التخيل عند الكاتب هي التي تفجر الإبداع، لأنها في الوقت نفسه تلملم أشلاء الواقع في أطر وأنساق فنية، ولا يوجد إبداع دون تفاعل الخيال مع الواقع، أما عن الواقع الذي كابده، وعائشه مستجاب فإنه من الثراء والتنوع في مفرداته وعناصره إلى الدرجة التي تكفي لخلق عوالم إنسانية لا حد لها، فإذا علمنا أن صاحبها متفجر الخيال يفيض بالعاطفة والحس الإنساني لعرفنا إلى أي حد تمتد قدراته الإبداعية، فهو ينفخ من روحه وفكره في هذا الواقع، ويبلوره في صور وأشكال أقرب إلى الأساطير حتى يتعذر على القارئ أن يفصل بين ما هو حقيقي وما هو خيالي، وعملية

الدمج هذه تتم من خلال فنية عالية تتسم بالصدق والتلقائية، ويزيدها جمالا تلك اللغة الشفيفة الشاعرة التي لا تكتنز ولا تترهل، فالمبنى على قدر المعنى، وقد ظهر ذلك جليا في مجموعات القصصية: ديروط الشريف، قيام والنهار آل مستجاب، الحزن يميل للممازحة، كما ظهر في روايته "من التاريخ السري لنعمان عبد الحافظ" إنه الرابع من آل مستجاب، بل ومن خلال مقالاته في الصحف والدوريات: حرق الدم، بوابة جبر الخاطر، زهر الفول، نبش الغراب.

### خاتمة

عندما اعترض أحد مديري الفنادق الفخمة على وجود محمد مستجاب - وكنت معه في مرسى مطروح - لأنه يرتدي الجلباب الصعيدي دائما في صالة الطعام، عندئذ هاج مستجاب وغضب وأصر على مغادرة الفندق.

ساعتها تراجع مدير الفندق واعتذر، واستمر مستجاب يتجول داخل وخارج الفندق وهو يرتدي هذا الزي التراثي. ورغم أنه - أحيانا - لا تؤمن عواقبه فإنه كان يمتلك وجدان الفنان المرهف، وعقل المفكر العميق، وقلب طفل لا يخلو من البراءة.

## محمود الربيعي بعد الخمسين

إن سيرة الزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونج والتي كتبها طبيبه الخاص قد أفرغت محبيه بما احتوته على أسرار وانحرافات صدمت الذين كانوا يقدسون زعيمهم، أما السيرة الذاتية العربية فمازالت تتوخى الحيطة والحذر من جانب صاحب السيرة، وهناك بعض السير التي تقدرها لفتيتها ولقيمة أصحابها منها الأيام للدكتور طه حسين وأنا للعقاد وحياتي لأحمد أمين وسجن العمر لتوفيق الحكيم وغيرها من سير السياسيين والمشهورين في مجالات أخرى.

كتب الدكتور محمود الربيعي الناقد والأكاديمي الجزء الأول من سيرته بعنوان "في الخمسين عرفت طريقي" وقد تناولها الكثيرون بالدراسة والتعليق عليها ثم جاء الجزء الثاني من السيرة بعنوان:

"بعد الخمسين" وإذا كان الجزء الأول قد غطى الخمسين سنة الأولى من حياة الكاتب فإن الجزء الثاني يغطي العشرين سنة التالية وفي ذلك يقول الناقد الدكتور محمود الربيعي: "ولم يدر بخاطري قط أن كتابي ذلك سيكون له جزء مكمل، وذلك لأنني لم أقدر قط حين كنت في الخمسين من عمري أنني سأعيش حتى سن السبعين".

حقا إن الأعمار بيد الله، لكن أبوي لم يعمرأ، وبئيتي التي نشأت فيها بيئة صعبة بأنها ممتازة، إن لم تكن ضعيفة، لذا فقد كانت حساباتي تجعلني أقدر أن "نصف قرن" من الزمان على هذه الأرض لحياة مثل حياتي يكف ويزيد ولعل هذا كان وراء حرصي الشديد على أن يرى كتابي النور قبل رحيلي، ولست متأكدا من أنني لم أنجزه يومئذ على عجل، لكن ها هو ذا القدر يمهلي حتى أتجاوز السبعين ومعنى هذا أنني بقيت في معترك الحياة عقدين إضافيين، وهما عقدان حافلان ماتت فيهما قيم، وولدت قيم.. وحدثت تغيرات هائلة على مستوى الوطن والعالم، كما حدث في حياتي الشخصية والمهنية والثقافية، ما أراه جديرا بالتسجيل.

تتكون السيرة من ثلاثة فصول الأول في وكالة دار العلوم والثاني في الجامعة الأمريكية والثالث في الحياة الثقافية ثم الخاتمة وأخيرا ملحق بعنوان علموني فتعلقت بهم، ومن خلال هذه الفصول يحدثنا الدكتور محمود الربيعي عن دوره أكاديميا، ناقدا، مثقفا، ويتجول بنا في أسفاره وخاصة في

المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ويطوف بنا بين الكتب وذخائر المعرفة، نتعرف من خلاله على أصحاب الفضل في مسيرته الحياتية ومواقفه من بعض القضايا الأدبية والنقدية ونظريات التعلم والمعرفة والفرق بين النظم التعليمية في الشرق والغرب وأحوال المثقفين والكتاب في عالم مادي لا يكثرث بأصحاب الكلمة ويتطرق بنا إلى كيفية منح الجوائز ومن هم الذين يحصلون عليها، ولذا فهي وظيفة أكثر منها حياتية هي سيرة تعنى بالأدب والنقد والحياة الثقافية وليس بالعلاقات والمواقف الحادة ولا ينسى د. الربيعي أن يؤدي دوره النقدي على جميع المستويات الاجتماعية والأكاديمية والأدبية والثقافية والإدارية، فهو ينتقد أساتذة دار العلوم الذين سافروا إلى الخليج جاءوا بسلوكيات غريبة، هو لا ينتقد السفر في حد ذاته فهو نفسه قد سافر إلى الكويت، وفي ذلك يقول: "وأخطر ما في الموضوع أن كثيرا من هؤلاء الذين ذهبوا لم يعودوا بالمال فحسب، وإنما عادوا يحملون عادات سلوكية غريبة، وأفكارا أشد غرابة سرعان ما انتشرت في جو الكلية انتشار النار في الحطب، وخلخلت لذلك أساليب علمية كانت مستقرة واستبدل بها الفكر الذي يلبس عباءة المعرفة، ولا يصمد في وجه أي تحليل منطقي أو منهجي.

ويستمر في نقده لنظام التدريس في دار العلوم، أقسام علمية على الورق، ولكن الواقع أن ما يدرس للطلاب إنما هو مجموعة مواد تقدمها

هذه الأقسام الشكلية عبر سنوات أربع والصراع مستمر، كلما فتح باب تطوير المناهج على عدد الساعات التي ينبغي أن يعرضها كل قسم والغلبة عادة للقسم الذي يتمتع بأكثر أعضاء هيئة التدريس عدداً، أو القسم الذي يكون العميد أحد أعضائه.

أما عن نظام التعليم في الجامعة الأمريكية فيقول: ثمة أوجه شبه كثيرة بين نظام التعليم في الجامعة الأمريكية وهو ما يطلق عليه نظام التعليم الحر وبين نظام "شيخ العمود" في الأزهر القديم : إذ يختار الطلاب موادهم ومدرسيهم وأوقاتهم ويحصلون على "إجازتهم" بتحقيق درجاتهم في المواد التي درسوها.. ومعنى هذا أن الجامعة الأمريكية لا تعرف نظام الكنترول المعمول به في الجامعات المصرية، والذي يلتهم وقتاً كبيراً من الأسابيع التي ينبغي أن تكون من نصيب الدروس.

هكذا يشبه هذا التعليم نظام الأزهر القديم كما قلت وإن لبس شارة العصر، وهو يوفر الوقت كما يقوم على الشفافية لا السرية والكاتب شغوف بعقد المقارنات في أمور كثيرة بيننا وبين أوروبا وأمريكا حتى في أسلوب عقد المؤتمرات الثقافية فيقارن بين مؤتمر عقد في أحد أقاليم مصر وبين مؤتمر عقد في أسبانيا عن طه حسين عام ١٩٩٠ فينقد الفروق بين هذا وذاك من حيث الإعداد والتخطيط والإقامة والبرامج وبطبيعة الحال المقارنة في صالحهم.

أما عن الواقع الثقافي فمن خلال احتكاك د. الربيعي وتفاعله مع مفرداته فقد تكشف له الكثير من المساوئ وليس من سمع كمن رأى وشارك. يقول صاحب السيرة: إن الثقافة لا يمكن أن تزدهر في جو اللوائح الرسمية التي تحتفظ بالميزانية في يدها، وتوزعها بقرارات سيادية أما المسئولون فهم دائما يقولون إنها مزدهرة وقد بلغت ازدهارها الحقيقي نتيجة لجهودهم هم أنفسهم.

كما ينتقد الكاتب نظام الجوائز ولا يخفي إعجابه بالشاعر والناقد الكبير أدونيس وبثقافته التي تجمع بين ما هو أصيل وما هو معاصر وحديث، كما يذكر الكاتب البواعث والدوافع والتي أقبل بسببها على كتابة سيرته الذاتية وهي: أول أهدافي أن أحقق سعادتي حين أمارس حريتي بوضع الكلمات على الأوراق فأنا أجد في هذا الفعل راحتي منذ أن تحكمت في "القلم والقرطاس"، وقد كتبت في حياتي شعرا ورسائل شخصية وأبحاثا أكاديمية وتقارير إدارية وحين لا أجد شيئا مفيدا أكتبه أشغل نفسي عادة "بالشخبطة" على الأوراق هنا أشعر كأن حملا ثقيلا يلقي على كاهلي، ولا يغنيني بعد ذلك أكان ما كتبتة ذا معنى يتعارف عليه الناس، أو كان خاليا من المعنى جملة في نظرهم ويسرني بالطبع أن يجد كلامي طريقه إلى الآخرين، أما أنه يعود عليّ بعد ذلك بالنفع المادي، أو يجلب إلي إطراء أو شهرة أو يجلب عليّ في الجانب الآخر رفضا أو حتى

متاعب، فهذا لا يشغل بالي على الإطلاق.. حين أكتب أحس بالحرية،  
وحين يكون موضوع الكتابة سيرة حياتي أحس بحرية مطلقة، لذا فإنني في  
الحالة الأخيرة اختار ما أريد وأطرح ما أريد، واختار لذلك من العبارة ما  
أريد، مستجيباً لدواعي نفسي في جميع الأحوال، وأعبر عن قدراتي في  
فحص ما بداخلي دون موارد أو تكلف.

وأظن أن السيرة الذاتية للناقد د. محمود الربيعي فيها الكثير من المنافع  
لمن أراد الكفاح من أجل العلم أو أراد أن يثقف نفسه تثقيفا ذاتيا، أو من  
أراد أن يولي وجهه شطر الأدب والنقد والثقافة.

## العقاد ومندور

أكد العقاد وجوده الأدبي والنقدي كصاحب مشروع ثقافي متكامل وصاحب خطاب نقدي جديد في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، كما حقق مندور ذلك في الأربعينات والخمسينات من القرن نفسه. وإذا كان العقاد ومندور قد فارقا الحياة في عامي ٦٤، ٦٥ على الترتيب، نستطيع القول إنهما تجاوزا في الحياة الأدبية نصف قرن أويزيد.

وبداية من عام ١٩٣٩ حين عاد مندور من فرنسا دون حصوله على درجة الدكتوراة، لكنه قد عب من الثقافة الفرنسية وفهل من العلوم والفنون الكثير وفي نفس الفترة كان العقاد في قمة صعوده الأدبي والنقدي عندئذ كان لابد من الالتقاء والتقاطع ثم التقابل والتصادم الفكري، فكانت المعارك

النقدية التي أشعلت الساحة الأدبية وروت الحقول الفكرية بخلاصة أفكارهما  
وهناك بعض الأسئلة التي تطرح نفسها هل كانت هذه المعارك ناتجة عن:

صراع بين جبلين؟

صراع بين ثقافتين؟

أو صراع بين مذهبين نقديين مختلفين؟

أم أن جوهر الصراع نشأ لاختلاف التكوين السياسي لكل منهما؟

إن محاولة الإجابة على هذه الأسئلة يمكن أن تكشف عن أبعاد  
واتجاهات الأنساق النقدية والفكرية لكل منهما. حين قامت ثورة ١٩١٩  
كان العقاد يقترب من الثلاثين من عمره وكان لسيادة الاتجاه الليبرالي عقب  
هذه الفترة أثرا كبيرا في اعتناقه وإيمانه بالحرية في إطارها الليبرالي مثل غيره  
من معاصريه طه حسين والمازني وشكري، وفي بدايات الثلاثينات في القرن  
العشرين أصدر هو وصاحبا المازني وشكري كتاب "الديوان" وكان علامة  
فارقة في الحركة الأدبية آنذاك وفيه يقول العقاد مخاطبا شوقي:

" أعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من  
يعددها ويحصى أشكالها وألوانها، وأن ليست مزيه الشاعر أن يقول لك عن  
الشيء وماذا يشبه وإنما مزيته أن يقول ما هو ويكشف لك عن لبابه وصلة  
الحياة به"، وكما يقول الكاتب والناقد د. ماهر شفيق فريد في مقدمته  
لكتاب الديوان:

وصف الدكتور محمد مندور - وكانت بينه وبين العقاد خلافات كثيرة في الرأي - هذا الجزء من كلام العقاد والكلام الذي يليه بأنه كلام رائع يدل على فهم صحيح لحقيقة الشعر كما يفهمه الغربيون وأثنى على هذه الفقرات القوية المركز وإن أردف بعد ذلك ببعض تساؤلات عما يقصدهاالعقاد بلباب الأشياء ورأى في كلامه جمعا بين عدة مذاهب شعرية غربية متصارعة، ولا ريب في أن الذي يقوله العقاد هنا وإن كان مألوفاً لقارئ كانط وهيغل وشلنج وشلجل وكولردج، كان ذلك ثورة فكرية مطالع القرن العشرين، ونقلة نوعية خطت بالنقد الأدبي في مصر خطوات رائعة.

يتحدث العقاد عن مذهبه في النقد في يومياته في جريدة الأخبار في ١٩٦٣/١١/٢٠ :

"إن مدارس النقد الأدبي لكثيرة في الأزمنة الماضية وفي هذا الزمن الذي شاعت فيه الدراسات النفسية أما شيوع وإننا نقدرها كل قدرها ونقدر الكثيرين من أعلام النقد الذين تناولوا الأعمال الأدبية على أصولها، نحن نقدر المدرسة التاريخية كما نقدر المدرسة الاجتماعية ونقدر المدرسة الفنية كما نقدر معها المدرسة اللغوية والبلاغية وكل منها قد دل على شيء من قيم الأدب لا نستغني على الدلالة عليه، ولكننا نفضل المدرسة النفسية؟ لأن المدرسة النفسية تغنيا عنها، ولا تلجئنا إلى مزيد من البيان بعد المعرفة لنفس

الشاعر وباعثها الظاهرة في معانيه وألفاظه وأسلوبه وأغراضه النفسية المتمثلة في تلك المعاني والألفاظ والأسلوب، نحن نعرف كل ما نريد أن نعرفه وكل ما يهم أن يعرف متى عرفنا نفس الشاعر وعرفنا كيف يكون أثرها في كلامه، وكيف يكون أثر هذا الكلام في نفوس الناس، ولكن المدارس الأخرى لا تكفي هذه الكفاية للعلم بالشاعر وشعره، ومن ثم يتبلور منهج العقاد النقدي في هذه المدرسة النفسية والتي كانت المحور الرئيسي في معظم دراساته النقدية وخاصة في الشعر والتراجم والعبقریات ومنها "ابن الرومي حياته من شعره".

"شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي"، "رجعة أبي العلاء"، "أبو نواس الحسن بن هانئ"، "وتبدي ملامح هذه الطريقة من خلال ربط حياة الشاعر بفنه وبيان التمازج بينهما غير أن الغلبة كانت للمقارنة النفسية، فالعقاد اتخذ الخطاب الشعري وسيلة للوصول إلى شخصية الشاعر ونفسيته دون تعمق في خصائصه الفنية وقيمة الجمالية والخلاصة إن ما يعرف بالخطاب "السيكوبويوجرافي" في السيرة الشعرية والعبقریات والسيرة الذاتية عند العقاد قد دار في فلك الشخصية وهذا لإيمانه بالفردية والحرية بل لإيمانه بأن الإنسانية تأخذ مسارها من الاجتماعية إلى الفردية، وهذا ما دفعه إلى الإمعان في موقفه المتعنت من دعاة الواقعية الاشتراكية والتشبث بالترعة

النفسية والعبقرية الفردية، ومن ثم يقودنا المذهب النقدي للعقاد إلى المذهب النقدي المقابل الذي يمثلُه مندور قائلاً:

"لم يتكون مذهبي في النقد نتيجة لدراساتي الأدبية في مصر والخارج وحدها، بل اشتركت تجاربي في الحياة أيضا في تكوين هذا المذهب، ففي أوائل حياتي العملية بالجماعة، وعند عودتي من الخارج في سنة ١٩٣٩ كنت مأخوذا بعلم الجمال اللغوي الذي عمقت قيمه في نفسي قراءاتي المتصلة في الآداب اليونانية واللاتينية القديمة والفرنسية قديمها وحديثها، ولذلك لم أكد أعود من الخارج وأبدأ الكتابة في مجلتي "الثقافة" و"الرسالة" حتى رأيته أحفل أولا وقبل كل شيء بالقيم الجمالية اللغوية في الأدب عامة والشعر خاصة، لأنه المجال الذي نلمس فيه بوضوح هذه القيم الجمالية، فدرست تاريخ النقد عند العرب القدماء في كتابي "النقد المنهجي عند العرب" على ضوء هذا المذهب التأثري، وفضلت من نقاد العرب القدماء من أوتي الذوق المثقف المستنير الذي يستطيع أن يحس بالقيم الجمالية في الشعر، وأن يهدينا إليها مثل الامدي في كتابه "عن الموازنة بين الطائيين" أي بين البحتري وأبي تمام ومثل القاضي عبد العزيز الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتبني وخصومه".

وعن نفس المذهب صدرت في نقدي لعدد من الأدباء والشعراء المعاصرين، وفضلت ما سميته بالشعر المهموس عند المهجريين من أمثال

نعيمة ونسيب عريضة وغيرهما على الشعر الخطابي التقليدي عند عدد من شعرائنا المعاصرين، وفي كتابي "في الميزان الجديد" وفيه تطبيقات عدة لهذا المذهب التأثري كما أن فيه دفاعا حارا عنه ضد من هاجموا عندئذ كأخصار المذهب النفسي في النقد، وهو المذهب الذي يهتم بالأديب أو الشاعر أكثر من اهتمامه بإنتاجه الأدبي أو الشعري كفن لغوي جميل، ثم اتجه مندور إلى النقد الإيدلوجي وفي ذلك يقول:

أستطيع أن أقرر أن مذهبي في النقد قد أصبح في صورته النهائية يقوم على أساسين: أساس أيديولوجي ينظر في المصادر والأهداف وفي أسلوب العلاج، وأساس فني جمالي ينتظم في مرحلتين أحاول دائما أن أجمع بينهما في كل نقد تطبيقي.

نحن هنا أمام مجموعة من الفروقات الواضحة والتباينات أهمها أن العقاد تألق في فترة المد الليبرالي، أما مندور فقد تألق في فترة المد اليساري فالأول آمن بالحرية الفردية في إطارها الليبرالي.

والثاني اعتنق الديمقراطية الاجتماعية في إطارها الاشتراكي وأظن أن هذا الاختلاف في التكوين والاتجاه السياسي كان وراء تباين المناهج النقدية عندها، فتحمس العقاد للمنهج النفسي والتزم مندور بالنقد الأيدلوجي التأثري.

ناقدان من جيلين مختلفين، اختار كل منهما مذهباً غير المذهب الذي اختاره الآخر، وإذا كان العقاد قد تأثر بالثقافة الأنجلوسكسونية بإطلاعه على الأدب الإنجليزي، فإن مندور تأثر بالثقافة اللاتينية في معاشته للأدب الفرنسي، ومن ثم تبلور ذلك في معاركهما النقدية وفي ذلك يقول الناقد د. جابر عصفور: "ولم يكن غريباً أن يختلف مندور عن هؤلاء الأساتذة وأن يضيف إليهم، بل ويدخل مع بعضهم في معارك ضارية ومعركته الأشهر مع العقاد الذي كان عنيفاً في اختلافه عنيدا في إصراره على رأيه.

وفي إحدى يومياته في الأخبار في ٤ / ١٢ / ١٩٦٣ وتحت عنوان: "شيخ النقد.. هل ولد أسأله؟ كتب العقاد:

"شعنا ليس بشعر، لأن شعر "الهمس" هو الذي يرتضيه شيخ النقد وقد نسى شيخ النقد أنه الناقد الاجتماعي العصري الصناعي المادي الذي لم يكتب حرفاً واحداً في نقد المذهب الماركسي، ثم نسى مع ذلك أن "الهمس" آخر أساليب التعبير عن ضوضاء الصناعة وثورات الاجتماع ثم يستطرد العقاد قائلاً:

وعلى هذه السنة كتب "المندور" قبل ثلاثين سنة ينكر رأينا في ولع المتنبى بالتصغير، وينكر أن يكون للتصغير في شعره شأن غير شأنه في دواوين عامة الشعراء، ولن يقول بذلك أحد فتح ديوان المتنبى في حياته مرتين على صفحة من الصفحات "ويستمر العقاد في مهاجمة مندور"، لكن

الآراء عند شيخ النقد لا تنقسم إلى صواب وخطأ، وإنما تنقسم إلى رأي نقول به فهو خطأ لا صواب فيه، ورأي يعارض ذلك الرأي فهو الصواب كل الصواب، وقد سأل الشيخ سائل عن الفرق بين مدرسة العقاد في النقد وبين مدرسته هو فكان جوابه:

إن العقاد يعتمد على النفسيات وأنه هو يعرف أصولاً للنقد الأدبي تعصمه أن يترل إلى ذلك المستوى.

وإذا كان العقاد ومندور قد انضما إلى حزب الوفد وحظيا بعضويته ثم انشقا عنه فلا غرابة أن يمثل العقاد يمين الوسط ويمثل مندور يسار الوسط، هكذا تباينا واختلفا، لكن ذلك يؤكد قامة وقيمة كل منهما في تاريخ الأدب العربي المعاصر وفي إسهامها الوفير في مسيرة النقد العربي.

## يوسف إدريس

### محفور في الذاكرة

في بدايات ١٩٧٤ كنت طالبا بالفرقة الأولى بكلية الصيدلة جامعة القاهرة وأحد أعضاء لجنة النشاط الثقافي وكان معي كل من مجدي أحمد علي الذي أصبح مخرجا متميزا وكريمة الحنفاوي المناضلة والشائرة دائما وسمير دانيال، وكان كاتبنا بارعا في كتابة القصة القصيرة لا أدري أين هو الآن؟

كما أنني لم أكمل الدراسة في كلية الصيدلية، ومن خلال هذه اللجنة أصدرنا العدد الأول من مجلة "صوت الصيدلية" لذا فكرنا في إجراء مقابلة مع الكاتب الكبير والمتميز د. يوسف إدريس بمكتبه في الدور السادس بجريدة الأهرام.

تحدد الموعد وذهبنا أنا ومجدي وسمير وأجرينا الحوار وتم نشره في العدد الأول من مجلة "صوت الصيدلية" عام ١٩٧٤ تحت عنوان "أفضل من

كتب القصة القصيرة في العالم". حوار مع د. يوسف إدريس. أجرى الحوار مجدي أحمد علي وربيع مفتاح:

شهد عام ١٩٧٤ خلافا حادا بين الرئيس السادات والكاتب الكبير محمد حسنين هيكل والذي كان يرأس تحرير جريدة الأهرام حينئذ، فقد خرج السادات من حرب ٧٣ منتصرا ومزهوا بالنصر وأصبحت حساسيته للنقد عالية، كما كان هيكل مهندس العملية التي أطلق عليها اسم مراكز القوى، ولا أدري هل الغيرة الصحفية أم أشياء أخرى عند يوسف إدريس من ناحية هيكل هي التي جعلته يقول حين سألناه عن سبب إبعاد هيكل عن الأهرام:

- أراد هيكل أن يكون دولة داخل الدولة وهذا سبب غضب السادات عليه.

تحولقنا حول يوسف إدريس وهو يجلس في مقعده الوثير الدوار ينظر إلينا بعينين يشع منهما بريق عجيب وذكاء نادر فتاك ونحن حوله لا نصدق أنفسنا أننا في معيته.

بادره صديقي مجدي أحمد علي، "وكان يسبقني بعامين في الكتابة" حين رآه يشعل سيجارة مارلبورو.

- فلاح ويدخن مارلبورو.

فأجابه بثقة:

حصلت على هذه السجائر وأنا في الطائرة القادمة من اليابان.  
وقد أصدر يوسف إدريس كتاباً عن هذه الزيارات بعنوان "زيارة إلى  
نصف قارة"، وتنبأ فيه بتفوق دول جنوب شرق آسيا على المنافسين  
التقليديين مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبالفعل أصبحت نمور شرق آسيا من  
أهم محاور الاقتصاد العالمي.

جاء دوري في طرح الأسئلة فاتجهت إليه قائلاً:

- ما رأيكم في المشاكل التي يعاني منها الأدباء الشباب وكيف تساعدكم  
كي تحققوا أديباً؟

- اعتدل في جلسته وأجاب:

- لا يوجد ما يسمى بأديب شاب وأديب غير شاب، يوجد أدب أو لا  
أدب، والكتابة الجيدة تفرض نفسها على الجميع.

- أصابتنى الإجابة بشيء من الإحباط لإحساسي أن سؤالى كان ساذجاً،  
نظرت إلى الكاتب الفذ فلاحظت أنه يعاني من سمنة زائدة وخاصة في  
منطقة الكرش، لاحظت أنه يأخذ أنفاسه بصعوبة.

- وعرفت بعد هذا اللقاء بسنوات قلائل أن جراح القلب المصري العالمي  
أجرى له عملية قلب مفتوح وقد كتب إدريس عن هذه التجربة الصعبة في  
كتابه "الإرادة"، كان كوب الشاي في يدي على وشك الانتهاء بينما راح

كاتبنا الكبير يرتشف القهوة في تمهل وتلذذ وسيجارته لا تفارقه، عندئذ باغته مجدي قائلاً:

- كتبت قصة الحرام وحولها هنري بركات إلى فيلم سينمائي، فهل أنت راض عن هذا الفيلم؟ رد قائلاً:

- القصة إبداع فردي والفيلم إبداع جماعي، لكن تظل رؤية كل من الكاتب والمخرج هي الأساس، المخرج السينمائي هنري بركات من أهم المخرجين المصريين، ولكن حدث اختلاف في الرؤية بيننا.

- أرى عمال التراحيل من الفلاحين والعمال هم أصحاب البطولة الحقيقية في مجتمعنا، وأنا أنظر إلى قوة تحملهم بدهشة بالغة أما بركات من خلال الأدوات الفنية التي استخدمها أظهر هؤلاء في وضع يستحق الشفقة، وشتان ما بين الشفقة والبطولة، هؤلاء يبنون مصر بأجور زهيدة جدا ليست هي أجورهم الحقيقية، لأن الجزء الأكبر من أجورهم يلتهمه سماسرة العمال والمقاولون مثل إبرة التطريز التي تشكك فتنته، كانت كلمات كاتبنا الكبير، انتهت فأنا أمام كاتب عبقرى فذ، ليست كتاباته فقط، وإنما أيضا ما يقوله من آراء.

لم أرد حتى أن أتحرك أو التفت وكأني أمام كثر أود ألا أترك منه قطعة واحدة، لكنني سرحت برهة ولسان حالي يقول من الضروري أن أصبح طبيبا أدبيا "وهذا لم يتحقق بالضبط".

لقد كتب إدريس القصة والرواية والمسرحية والمقالة وشارك بآرائه في الحياة السياسية والثقافية لكنه يظل أمير القصة القصيرة بلا منازع، وهو قد قال لنا بثقة تمتاز بالغرور:

- لا بد لمن يريد أن يكتب القصة القصيرة أن يمر بالتشيكوفية أولاً ثم الإدرايسية بطبيعة الحال يشير إلى نفسه.

اتسمت كتابات يوسف إدريس ببكارة الرؤية فهو يرى الأشياء وكأنه يراها لأول مرة وقد أطلق الناقد الروسي الشكلاي شكلوفسكي على هذه الظاهرة "التغريب"، كما حفر إدريس مشروعاً أدبياً خاصاً به لم يقلد فيه أحداً فله بصمته الخاصة في معظم ما كتب وكان يقول:

- أنا أكتب لأغير وليس الكتابة مهنة وإذا أحسست أن كتاباتي لن تغير فلماذا أكتب؟

والمدهش أنه كان يقرأ في العلوم والاقتصاد أكثر مما يقرأ في الأدب والنقد، يقرأ في الفيزياء النووية والهندسة الوراثية هكذا أجابنا حين سألناه. في مسرحيته الجهنمية الفرافير التي أخرجها المخرج المبدع الراحل كرم مطاوع وقام بدور فرفور الممثل الذي لم يكتشف جيداً الراحل عبد السلام محمد، يصرخ فرفور في وجه سيده:

- أنت سيدي ليه؟

يطرح إدريس بجرأة وطزاجه هذه العلاقة الأزلية بين العبد والسيد لماذا يوجد أسياد وعبيد؟

ربما تمر علينا هذه القضية مرور الكرام لكنها لا تمر عليه دون أن يفندھا ويحاول الوصول إلى جذورها ومنابتها.

تنتهي المسرحية بأن يدور الفرفور حول سيده في مدار دائري مثل دوران الأرض حول الشمس وكأنها قانون كوني، لكن إدريس يعترض على هذه العلاقة غير المشروعة وغير العادلة بين البشر.

ولا أنكر أنه من أكثر الكتاب الذين أثروا على أسلوبی في التفكير بينما تأثرت بعميد الرواية الراحل نجيب محفوظ من حيث تقنيات الكتابة وهناك قول متداول:

نجيب محفوظ روائي وإن كتب القصة القصيرة.

ويوسف إدريس قاص وإن كتب الرواية.

وأظن وليس كل الظن إثم أنه مهما تعددت القراءات في إبداعات

إدريس و محفوظ فإن هناك قراءات جديدة في إبداعهما.

## " في حضرة نجيب محفوظ "

في كتابه " في حضرة نجيب محفوظ " يكشف الكاتب الكبير محمد سلماوي عن خفايا عالم عميد الرواية العربية نجيب محفوظ ولا أبالغ إذا قلت إن هذا الكتاب من أهم وأشمل وأجل الكتب التي صدرت عن الراحل العظيم، يشتمل الكتاب على أربعة أبواب هي بالترتيب: لقاءات معه، مقالات عنه، كلمات له، صور له.

ورغم أن عدد صفحات الكتاب تجاوزت ٤٠٠ صفحة، إلا أن القارئ لا يشعر بهذا الطول، فجمال السرد ورشاقة العبارة وتدفق المعلومات، كل ذلك يجعل القارئ يستمر بشوق في القراءة وكأنه يقرأ رواية متنامية الأحداث..الباب الأول يقدم لنا لأول مرة تفاصيل اللقاءات التي تمت بين محفوظ وبعض أكبر الشخصيات العالمية والعربية من الأدباء ورجال السياسة والشخصيات العامة من أمثال الأديب العالمي باولو

كويللو، وأديبة جنوب أفريقيا الفائزة بجائزة نوبل نادين جورديمر، والمسرحي الأميركي الشهير آرثر ميللر.. وغيرهم، إضافة لرئيس وزراء أسبانيا، وأحمد زويل، ومحمد حسنين هيكل.. وغيرهم ممن سعوا جميعاً ليكونوا "في حضرة نجيب محفوظ" بنح سلماوي في نقل القارئ للجلوس بين محفوظ وزائريه ليستمتع للآراء والمناقشات التي دارت خلال الحوار.

أما الباب الثاني، فيضم بعض كتابات سلماوي عن نجيب محفوظ، وهي تدور حول بعض أهم القضايا التي ارتبطت بنجيب محفوظ وحياته وأعماله.

أما الباب الثالث، فيضم كلمات محفوظ نفسه في عدد من المناسبات الدولية التي اختار نجيب محفوظ فيها سلماوي ليكون نائباً عنه في حضورها، وفوضه في إلقاء كلمته فيها، ويتصدر هذا الباب حديث مهم حول حياته بين القراءة والكتابة.

والباب الرابع يضم بعض الصور النادرة لـ محفوظ وإذا كان العنوان هو عتبة الكتاب الأولى فقد تحقق ذلك في حضرة نجيب محفوظ فالحضرة هنا تعني صاحب المكانة والحيشية كما أنها تعني الحضور ومن ثم فنحن أمام أحداث موثقة شاهدة على شخصية هذا الروائي العظيم الذي ولد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وقد أتم سلماوي كتابة في أكتوبر ٢٠١١ أي في مئوية نجيب محفوظ وذلك خير تكريم لأول من رسخ لفن الرواية العربية، وعلى

مدي ١٢ عاما وبالتحديد منذ محاولة الاغتيال في ١٩٩٤ وحتى وفاة نجيب محفوظ في ٢٠٠٦ كان هناك بشكل منتظم بينه وبين الكاتب المسرحي والروائي محمد سلماوي في منزله يوم السبت الساعة ٦ مساءً، لإجراء الحوار الأسبوعي الذي كان ينشر كل خميس بجريدة الأهرام بدلا من مقاله الأسبوعي، لكن العلاقة بين شيخ الرواية العربية وبين سلماوي بدأت منذ التحاقه بالأهرام عام ١٩٧١ حتى أصبح ممثله الشخصي في احتفالات نوبل ١٩٨٨، وأصبح بعد ذلك بمثابة وزير خارجيته "حسب تعبير نجيب محفوظ" وحلقة الوصل بينه وبين الكتاب العالمين والمؤسسات الأدبية المصرية والعربية والعالمية، وأظن أن هناك مجموعة من العوامل والإمكانيات والقدرات هي التي جعلت سلماوي مؤهلا للقيام بهذا الدور بداية: هو كاتب مسرحي وروائي ومبدع مقال من طراز رفيع، كما أنه يجمع بين الثقافات العربية والفرنسية والإنجليزية، وهو أيضا صحفي متميز في أعرق مؤسسة صحفية وهي الأهرام، وهو وكيل وزارة الثقافة لشئون العلاقات الثقافية الخارجية عام ١٩٨٨، وأخيرا وليس بأخير رئيس اتحاد كتاب مصر وأمين عام اتحاد الكتاب والأدباء العرب.

لم يقتصر الكتاب على ما يخص الراحل العظيم نجيب محفوظ، وإنما قدم لنا قراءة في حياة وأعمال كثير من أدباء فرنسا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا.



## مذكرات المناضل عبد القادر حجار

الحب هنا هو حب الوطن والحبيبة، حب كل ذرة من أرض الجزائر التي ظلت في قبضة المحتل أكثر من ١٣٢ عاماً، والمحتل هنا هو الاستعمار الفرنسي أبشع أنواع الاستعمار لأنه استيطاني بمعنى أنه كان يهدف إلى تغيير لغة وثقافة وحياة دولة بأكملها فكان لابد من الكفاح والنضال والثورة من أجل زلزلة أركان هذا المستعمر.

ولم يكن ذلك ليتم إلا بهؤلاء الأبطال من أبناء الجزائر الباسلة والمناضل عبد القادر حجار صاحب هذه المذكرات واحد من هؤلاء الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل استقلال وطنهم، فكان السجن والأشغال الشاقة والإعدام تنتظرهم ونستطيع أن نتعرف على كل هذه التفاصيل من هذا الكتاب الشيق "الحب والحرب بين الذكرى والذاكرة"

شهادة أسير خلال ثورة التحرير - مذكرات المناضل عبد القادر حجار. وقد صدر الكتاب عن صالون غازي الثقافي العربي بالقاهرة عام ٢٠٠٧ وغالبا ما تكون مذكرات المناضلين بعيدة عن مفهوم الكتابة الأدبية بحكم من يكتبوها فهو ليسوا أدباء ولكنهم مقاتلون وثوريون، لكن هذه المذكرات أستطيع أن أقول بكل أمانة هي للأديب عبد القادر حجاز بمفهوم النص والأسلوب والمعالجة واللغة الجميلة السلسة وعمق التحليل وبراعة الاستهلال والقدرة على الإبانة والوضوح ومن ثم جمعت بين المتعة والفائدة كما يحدث في أي نص أدبي شعرا كان أم نثرا.

الدراما هي التجسيد الفعلي لفكرة الصراع بكل مستوياته داخل النفس وخارجها ويبدأ الصراع هنا عند المناضل عبد القادر حجاز منذ أن رأى الظلم بعينه متجسدا في الثري كبير قريته الذي تملك أرض أهله بأجنس الأثمان وتملك رقابهم بالفتات من الخبز وحول الكثير من عشيرة الفتى إلى رعاة لقطعانه وساسة لخيوله وبغاله.

وزاد هذا الشعور بالظلم لما وجد كل القرى وكل المدن وكل الأرياف فيها تلك الفروق بين البشر بهذا الشكل الفاضح، عندئذ أدرك أن قريته نموذج مصغر لما هو أشد وأكبر وفي تلك اللحظة توجه بأسلوب المخاطبة لصديقه فيقول:

- أيا صديقي يا عمر: ها قد ساءت الأحوال بالناس وبلغت منهم القلوب والحناجر واختفت الأنفاس وازداد البطش بالشعب واشتد القهر وزلزلت الأرض زلزالها بالجميع كأنه المحشر.

- هكذا كانت بداية الصراع وبداية الدراما ولكن هل تبدأ الدراما دون رفقة القلب ومهجته ونور العقل وبصيرته وهنا يتذكر:

- يا صورتها ما أروعها حية وما أقسى ذاكرها ميتة، رحلة نهائية أن تعود بعدها إلينا! ومع ذلك عاد ذكرها، واستعاد ذكرها... يا كلمة ما أقساها يتلجلج بها صعب عليه ما أشد أن يجلجلج بها لسانه.

أو تموتينأو تموتين قالها : يا ابنة خير خال وخير قريب!  
هذا عهد الوفاء بين مناضلها وحبيبته الراحلة التي فقدتها أثناء مشواره  
النضالي.

يذكرنا بقول الشاعر:

يفنى الزمان ولا أخون عهدك      أبدا ولو قاسيت كل الهوان  
صبوت إليك كم برق سرى      أو ناح طير الأيك في الأغصان

فقد الحبيبية مع الصراع ضد الظلم يجعل الدراما في قمة عنفوانها ، ومن الطبيعي أن يكون المناضل عبد القادر حجار ضمن الذين ألقى القبض عليهم وأودعوا في السجن وهنا يستخدم الكاتب ضمير الغائب وهو يحكي عن نفسه وهذه تقنية فنية من تقنيات السرد فيقول:

"وما إن وصل السجن، هو وأربعة من رفاقه حتى وجدوا بفناء السجن كوكبة من زبانية غلاظ شداد مستنفرة بقيادة ضابطهم الشهير الملازم "كاستيو" هذا الاسم اللعين الذي ظل سيفاً مشهراً وسوطاً مسلطاً على سجناء وهران "

لقد تعرض هذا المجاهد هو ومن معه من المجاهدين لأبشع أنواع التعذيب ومع ذلك لم تلن لهم قناة ولم يستسلموا أو يرضخوا لمطالب الفرنسيين، حتى إن أحكام الإعدام كانت تنفذ أمام أعينهم لتخور قواهم وتنهزم معنوياتهم فما وهنوا ولا ضعفوا ولا استكانوا، إنها ملحمة من ملاحم النضال الكبرى أراد الكاتب أن تقترب منها بل أدخلنا في تفاصيلها من خلال أسلوب قصصي متميز وبينه سردية قادرة على الاحتواء، احتواء ما حدث له واحتواء القارئ حتى يتعرف على هذه الأحداث، ومن ثم أصبحت تشكل مرجعاً مناسباً لمادة فيلمية عن كفاح واستقلال الجزائر الذي يحتاج لمثل هذه الأفلام والأعمال الدرامية، لتعريف الشباب العربي بهذه الملحمة الخالدة والتي قال الشاعر والمناضل الجزائري فيها:

وهو الشاعر مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية  
يا فرنسا قد مضى وقت العتاب  
وطويناه كما يطوي الكتاب  
يا فرنسا أن ذا يوم الحساب

فاستعدي وخذي منا الجواب  
إن في ثورتنا فصل الخطأ  
وعقدنا العزم، تحيا الجزائر  
فاشهدوا... فاشهدوا... فاشهدوا

وهذه قالها في حق الشهيد البطل الملقب بـ "الذبيح الصاعد" الذي  
يسير إلى حبل مشنقته:

قام يختال كالسيح وئيدا يتهادى نشوان، يتلو النشيد باسم الثغر،  
كالملائك، أو كالطفل، يستقبل الصباح الجديداً شامخاً أنفه، جلالاً وتيهاً  
رافعاً رأسه، يناجي الخلوداً رافلاً في خلاخل، زعردت تملأ من لحنها الفضاء  
البعيد!! حالماً، كالكلب، كلمة المجد، فشد الحبال يبغى الصعوداً وتسامى،  
كالروح، في ليلة القدر، سلاماً، يشع في الكونعيداً وامتنى مذبج البطولة  
معراجاً، ووافى السماء يرجو المزيداً وتعالى، مثل المؤذن، يتلو.. كلمات  
الهدى، ويدعو الرقوداً صرخة، ترجف العوالم منها.. ونداء مضى يهز  
الوجوداً.

لقد بدأ المناضل عبد القادر حجار الجهاد وهو في ريعان شبابه أو بمعنى  
آخر بدأ شبابه بالجهاد ضد الاستعمار الفرنسي حتى أنه أفلت من حكم  
الإعدام، لأن بعض الأفعال المنسوبة إليه تمت قبل سن الأشغال الشاقة بدل

الإعدام وهنا لا ينسى المناضل الكبير فضل هيئة التحرير التي ينتمي إليها  
فيقول:

"كانت جبهة التحرير جانية على أبنائها في السجون وكانت تتابع  
أخبارهم من خلال المحامين المدافعين عن المناضلين من ذوي التهم الكبيرة".

وكما قال أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.

ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر.

لقد جاء هذا اليوم وانجلي الليل وانكسر القيد وكما يقول مناضلك

الكبير أسعد به يا أخي من يوم بعد قرن وربيع من الاستعمار!

أسعد بها من لحظات أروع ما في العمر.

وأعظم ما في الحياة وأبهى ما في الوجود.

ومن خلال قراءة المذكرات نرى قيما جمالية متعددة بالإضافة إلى

قيمتها المعرفية ومن هذه الجماليات جمال اللغة وعذوبتها التي تقترب أحيانا

من لغة الشعر ففي صفحة ١٢٧ على سبيل المثال وليس الحصر:

"رباه! سهل من النفوس أن تتحمل شراسة العدو على قساوتها لكن

صعب عليها أن تتحمل خيانة الرفاق على الطريق سهل على الفرد أن

ينكسر وينهزم ومحال على شعب قدم كل هذه الدماء الذواكي وكل هذه

المهج الحري قربانا على طريق حريته واستقلاله أن يخيب رجاءه فيك  
ويستسلم".

لقد تفجرت الدراما في هذه المذكرات من خلال علاقة المناضل بحبيبه  
ووطنه ورفقاء الكفاح معا ضد الاستعمار الفرنسي.  
إنها دراما الحب والتضحية والثورة.



## مؤرخ في ثياب شاعر

### قراءة في أعمال وحياة عبدالرحمن بعكر

تعددية الاهتمامات وتنوع الاتجاهات وموسوعية الثقافة سمة هذا الشاعر الذي صاغ الشعر وكتب النقد وألف السيرة ودون التاريخ، ومن ثم يصبح تناول شخصية عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي مغامرة محفوفة بالمخاطر.

إن الإلمام بهذه الشخصيات الثرية من كافة جوانبها يتطلب كتاباً ضخماً وليس دراسة أو قراءة نقدية إذا كانت ملكة الإبداع تميل إلى التركيب والتكوين أو ما يسمى بالتجميع فإن ملكة النقد تختص بالتفكيك من أجل الوصول إلى رؤية تضيء الإبداع شعراً كان أو نثراً.. فماذا يفعل صاحب الملكتين!

إن شاعرنا من الذين امتلكوا الناصيتين الإبداع والنقد وهذا ما يبرهن عليه محصوله الأدبي الوفير في مجال الدراسات النقدية وكتابة السير

الحياتية كما اتكأعلى التاريخ في رحلته الحياتية والإبداعية، لقد قدم شاعرنا إلى المكتبة العربية عشرات المؤلفات والدراسات والبحوث التراجمية والتاريخية والأدبية التي منها "كواكب يمنية في سماء الإسلام، مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير، شيخ الإسلام الشوكاني، المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيرى، الأستاذ أحمد محمد نعمان، وترجمة بحثية للمفكر العربي مالك بن نبي، نظرات في التاريخ اليمني العام في مجال التاريخ".

أما في مجال الأدب والنقد والشعر كيف غنت تهامة، أجراس "ديوان"، سجادة الخضر "ديوان"، بنفسجيات "ديوان"، وفاء "ديوان" وعناقيد في الأدب والفن، جمرات نثرية، وحسم الموهبة "سيرة ونقد عن عبدالله البردوني"، أشداء من الأدب اليمني، شاعر التوحيد والعدل والجمال عبدالرحمن الأنسي، كما حقق عددا من دواوين والشعر لقامات أدبية يمنية طمرتها الأزمان والظروف كـ "الأنموذج الفائق للقاضي عبد الرحمن الأنسي، وديوان أبي بكر الحكاك، وديوان الفقيه أبي بكر المهير، وتحقيق ديوان الولي الشيخ حاتم بن أحمد الأهدل، فضلا عن "نعمة البيان، العريضة أنموذجا، وصاحبة الجلالة اللغة العربية"، وقد أشار الشاعر السفير الدكتور عبد الولي الشميري إلى تكوين شاعرنا الثقافي ومنطقه الإبداعي ومنحاه الفكري.

وذلك في صدر مقدمته لديوان "أجراس" حين قال:

ما أندر وأقل الأقلام العربية حرفاً.. الإسلامية ولاء، وأندر من ذلك أن تجد من يجمع بين الموهبة الخصة والثقافة الواسعة.

والهدف النبيل، وقد أجدبت الساحة الأدبية من هذا النوع تماماً إلا من أعلام يعدون بالأصابع، ولقد كنت أرمق بإعجاب كبير وإحساس مرهف كل حرف خطه قلم أدبائنا الكبار مثل الأميري، العظم، ومن على شاكلتهم، وفي هذه الدراسة الموجزة نحاول أن نقف على أهم الملامح الفنية والفكرية التي تميز شاعرنا والتعرف على أسلوبه في كتابة السيرة الذاتية والتاريخ، كما نحاول استبصار منهجه النقدي وتعيين أهم ملامحه، ومن الضروري لاكتمال إطار الصورة التي نبتغيها أن نذكر موجزا عن حياته.

ولد الفقيد الراحل الكبير عبد الرحمن بن الطيب بن علي بعكر بن محمد عبد الفتاح الحضرمي في عام ١٩٤٣ م الموافق للعام الهجري ١٣٦٤هـ في مدينة حيس التاريخية - أقدم مدن تهامة - التي تلقى تعليمه الأولي فيها على يد عدد من مشايخ الأدب والفقه وعلوم القرآن وفي مقدمتهم والده القاضي الطيب بكر، والأستاذ العلامة محسن محمد القليصبي والفقيه طالب عطا رحمهما الله، كما تلقى تعليمه النظامي أيضا في المدرسة الأحمدية بحيس على يد المرحوم أحمد قاسم دهمش، منتقلا بعدها إلى (زبيد) لينهل من مساجدها العلم والفقه فدرس فيهما على يد الشاعر الأديب الراحل عبد الله عطية.

هاجر بعدها إلى صنعاء ملتحقاً بالمدرسة الثانوية، متنقلاً بين حلق  
جامعها الكبير دارساً على يد عدد من المشايخ مثل الشيخ القاضي أحمد بن  
قاسم العنسي، والقاضي علي بن محمد يسر الأنسي.

عاد إلى "حيس" مجازاً في عدد من فنون الأدب والفقه التي تلقاها منذ  
صغره، لياشر التعليم لإفادة أهل منطقته، فقد ساهم في استحداث عدد من  
المشاريع التربوية والخدمية من خلال نشاطه كواحد من رموز التنوير في  
منطقته وموقعه التنفيذي.

أصدر شاعرنا مجموعة من الدواوين الشعرية أهمها، أجراس، سجادة  
الخضر، بنفسجيات، وفاء، مع صلاح الدين، وفي ديوان أجراس كتب  
الشعر العمودي محافظاً على كل عناصره من وزن وقافية وقاموس عربي  
رصين.

يقول الشاعر عن ديوان أجراس "مجموعة قصائد انتقيتها من شعري  
الإيقاضي مرجئاً سائر الأغراض الأخرى".

معني ذلك أن معظم القصائد ارتبطت بمناسبات محددة أو أغراض  
بعينها، في أول قصيدة وهي التي أخذت العنوان الآتي:

"المنقذ الأعظم محمد صلي الله عليه وسلم " يقول الشاعر:

كتابك أي فرقان تجلّى

فشع النور وابتسم السناء

تفجر صوبه رشدا وسعدا  
فأرواح التقاة به رواء  
وقص حقائق الدارين حتى  
أحاط بما فيها خفاء

### ألا تذكرنا هذه القصيدة بمزية أحمد شوقي في مدح الرسول؟

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ولد الهدى فالكائنات ضياء    | وفم الزمان تبسم وثناء       |
| الروح والملائك حوله         | للدين والدنيا به بشراء      |
| والعيش يزهو، والحظيرة تزدهي | والمنتهى والسدرة العصماء    |
| والوحي يقطر سلسلا من سلسل   | واللوح والقلم البديع رواء   |
| يا خير من جاء الوجود تحية   | من مرسلين إلى الهدى بك جاوا |

ومع أوجه الجمال الكثيرة في قصيدة شاعرنا إلا أن تأثره بشوقي واضح وكبير، وهذا لا يقلل من قيمة الشاعر، بل إن التأثير والتأثر يشكلان خطين متقاطعين في إبداع الكتاب والشعراء، فالأسد مجموعة شياه مهضومة، والنصوص الأدبية تتوالد من بعضها، لكن القضية تظل دائما مهما تشابهت الألفاظ وتمثلت الأغراض قضية معالجة وصياغة، وهذا ما فعله شاعرنا بعكر، فقد أبدع قصيدة جديدة رغم تأثره بشوقي، وكان أديب العربية الجاحظ أول من أثار هذه القضية، "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها

العجمي والعربي، والبدوي والقروي، إنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك".

وتبعه على هذا الرأي أبو هلال العسكري، "الكلام - أيّدك الله - يحسن بسلاسته وسهولته، ونصاعته، وتخير ألفاظه، وإصابة معناه وجودة مطالعه، وليس مقاطعه، واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه، وتشابه بواديه، وموافقة أخيره فبادية، حتى لا يكون في الألفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه المنظوم وتأليفه، وكمال صوغه. "وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقاً، وبالتحفظ خليقاً".

وفي ديوانه "سجادة الخضر" الذي صدر عن منتدى المثقف العربي في القاهرة، وكتب مقدمته الشاعر السفير الدكتور عبد الولي الشميري، يقول د. الشميري: "استوحيت من دلالة العنوان "سجادة الخضر" أن صديقي الشاعر عبد الرحمن طيب قد انضم بديوانه هذا إلى ركب الشعر التصوفي، وأنه قد فرش سجادته إلى جانب الحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم. رغم أني نشأت في رحاب شعر التصوف إلى درجة العشق إلا أن بضاعتي في النقد مزجاة، فقررت أن أكتب عن الديوان بعد أن قرأت كل ما وصلت إليه يداي من نقد هذا الغرض الشعري الرقيق، مستجلباً إشارات المتصوفة ورموزهم، حتى تكشف أمامي محاريب قصائد المتصوفة ورحلت

أتمتم ببعض أبيات كنت قد حفظتها، وتجلت أمامي معان أخرى.. وعند ذلك فقط قررت أن أدخل الديوان لأعرف ما الذي نقشه صديقي بعكر على "سجادة الخضر".. فكانت المفاجأة.. إن سجادة الخضر عند صديقي بعكر ليست سوى بساط سندسي أخضر فرشته نيسان - شهر الخصب والعطاء - من حوله وفرشه خياله الجامح في شاعريته فأثبت دوحة شعرية ذات واحد وأربعين فرعاً، ولكل فرع منها حظه من الثمار ومن الزهور والحديث عن جمال الطبيعة في شعرنا العربي تقليدي عتيق، ترسم فيه المعاصرون خطى الأسبقين إلا قليل منهم ممن أفاء الله عليهم بالقدرة على قراءة هذا الجمال بعين جديدة بعيداً عن نظرات البحري وابن خفاجة الأندلسي وغيرهم من عشاق الطبيعة الأقدمين.

فهل قرأ شاعرنا بعكر الطبيعة بعين جديدة، يمكن أن نعرف ذلك بعد قراءة إحدى قصائد الديوان، قصيدة "تهامة والخريف".

قمر الريح الأول  
والريح هامة الحلوى  
تمضي بخفة جدول  
وتدور كالماتجول  
أنا تهب من الجنوب  
وأنة من شمال

وعلى حواشها نوا  
فح زعترو وقرنفل  
وبطيها شجن يلوب  
على القلوب ليتلي  
الله من ريح الخريف  
وفعلها بالمقتل  
هي في الصباح إذا تمب  
بشير غيث مقبل

ويبدو أن شاعرنا يماهي بين المرأة والطبيعة كما يقول د. الشميري، فالطبيعة ساعة حنونة وساعة مجنونة، مرة دافئة، ومرة مفترسة كاسرة، أحيانا شمالية، وأحيانا جنوبية، والريح هامسة الحلى، جمع الشاعر في هذه الصورة بين القسوة والجمال إنه التعامل الرومانسي مع الطبيعة يتسم برهافة الحس، يقول الدكتور جودت الركابي إن شعر الطبيعة هو الشعر الذي يمثل الطبيعة وبعض ما اشتملت عليه في جو طبيعي يزيده جمالا خيال الشاعر، وتمثل فيه نفسه المرفهة وحبها واستغراقه بمفاتيحها.

ويقرر الركابي أن "شعر الطبيعة" تعبير جديد في أدبنا جاءنا من الآداب الغربية.. وكان من أهم مظاهر الحركة الإبداعية الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر، والطبيعة كما يفهمها الرومانسيون صديقة وفيه،

يحبونها لما تمنحه من جمال لحسهم وهدوء لنفوسهم فيستسلمون إليها  
ويشاطرونها المناجاة ويوحدون إليها بعواطفها آلامهم.

## الناقد

جمع شاعرنا بين الملكة الإبداعية والملكة النقدية، ومن أهم كتبه  
النقدية "عناقيد أدب وفن - شاعر التوحيد والعدل والجمال عبدالرحمن بن  
يحيى الأنسي - كيف غنت قهامة - أشداء من الأدب اليمني - حسم  
الموهبة" امتلك شاعرنا مؤهلات الناقد من قدرة على التحليل والمقارنة  
والتأويل مع تميزه في قراءة النصوص قراءة جديدة وربط كل ذلك في إطار  
نقدي يتسم بلغة رائعة وفاحصة وكاشفة، كما إن إلمام شاعرنا وتبحره في  
قراءة التراث العربي أعطاه خصوصية في تذوق النصوص، في كتابه حسم  
الموهبة والذي تناول فيه إبداعات مجموعة من الشعراء منهم الشاعر اليمني  
العربي الكبير البردوني، الشاعر عبدالله محمد يحيى عطية، والشاعر عبدالله  
عبدالوهاب نعمان والشاعر الدكتور عبدالعزيز المقالح، وشاعر الجمال  
والثورة سهيل اليماني إنه يحدد المعايير الشعرية من حيث قناعاته كناقد أدبي  
فيقول: أجدني مشدودا إلى الإفضاء بثلاث قناعات في ملكوت الموهبة  
الشعرية، صار لها عندي ثبات الحقائق: ص ٩

أولاهن: ما اسميه بـ "ما فوق الموهبة": وهو يعني المكونات الفنية  
المستورة في حنايا وسرايب الذات، المبدعة بعناية خاصة من الخالق الحكيم

سبحانه، وذلك واضح في الكثير من جنبات الحياة وعوالم الأحياء، بل هو قانون كوني مثبت الآيات والعطاءات في كل المخلوقات، فإذا كنا نعمل مثلاً اتحاد المكونات الخلقية للإنسان في الوجه، فإنك تلاحظ رغم هذا الاتحاد الخلفي تفاوتاً متنوعاً من حيث القسّمات والملاح، ذلك على مستوي سطح الوجه، فإذا ذهبنا إلى الداخل منه، وجدنا تنوعاً متفاوتاً في الجهاز الصوتي من فرد إلى آخر، فإذا ذهبنا في الداخل إلى منطقة أبعد هي منطقة الذائقة في المشمومات والمسموعات، اذهلنا اطراد ذلك التنوع المتفاوت، حتى إنك لا تعثر على اتساق شخصية بشخصية فيما أسلفناه، ذات التنوع المتفاوت تلاحظه في عالم المغردات من الطير، ولذلك قالوا:

### الصوت موهبة السماء

وفي فصيلة العاسلات، ما أبعد الفارق بين ما تفرزه النحلة وما تتقيأه الزنابير، وكذلك في فصيلة الناسجات، ما أشد التباين بين ما تفرزه دودة "القرز" من مجاج يصبح حريراً، وبينما تفرزه "العنكبوت" من خيوط "وإن أو هن البيوت لبیت العنكبوت" كذلك الأمر في الشعر، فإن الخلاق اللطيف سبحانه الذي جعل في الأرض بقاعاً متجاورة تسقى من ماء واحد، ولكنها تتفاضل في الثمرة، هو الذي منح أفراداً من الشعراء سابعة عالية، تكمل موهبة، وتضفي عليها فرادة متفوقة غير ملحوقة.

هذه هي منطلقات الناقد بعكر، ولم يخل نقده التطبيقي من الأخذ بهذه المعايير وهذا ما جعله يضع الشاعر العربي الكبير البردوني تحت عنوان التلقائية الفاتنة وسوف نتعرف على النقد التطبيقي لناقدنا بعكر من خلال استعراض بعض النماذج لبعض الشعراء ونبدأ بنقده للبردوني في ديوانه "السفر إلى الأيام الخضر" حيث يقول: ندخل الآن ديوانه الخامس "السفر إلى الأيام الخضر".

ومن وثباته الخيالية الرائعة، هذان البيتان في مطلع قصيدته "يادها":

مثلما يبتدئ البيت المفقى      رحلة غيمية تبدو وتخفى

مثلما يلمس منقار السنى      سحرا أرعش عينيه وأغفى

ولا أعرف نصا شعريا موفقا في رسم ضبابية أوضاعنا أول السبعينات كهذا النص "البردوني" الكاشف.

ذلك أنه باختلاط التيارات، وتدخل الملامح، وتزاحم الشعارات.

لم يعد اليمني يومها يدري أهو في جمهورية أم في ملكية؟ ذلك أن

الوهج السبتميري أخذ يتضاءل ويتشاءب حتى غاب عن الأنظار.

والقصيدة من مواليد فبراير سنة ١٩٧٤ م، فمات المغني ومات الغناء

وأوضحت أغانيه ركام خشب وما أذكى تساؤلاتها في المطلع وفي الختام:

لماذا العدو القصي اقترب ؟      لأن القريب الحبيب اغترب

وفي النهاية يقول:

لماذا المغني أحب كثيرا كثيرا ولم يدر ماذا أحب؟

وناقدنا لا يجامل ولا يحابي لأن المجاملة تفسد الرأي والمحابات تسلب الناقد موضوعيته ونحن في حياتنا الثقافية العربية في حاجة إلى الحيدة والتزاهة حتى لا نقزم عملاقا ولا نعملق قزما، وهذا ما يبدو جليا عندما بعكر البردوني حيث يقول: وها نحن ندخل ديوانه السادس "وجوه دخانية في مرايا الليل". وما أبشعها من وجوه، وما أفظعها من مرايا، وقديما قالوا فأصابوا: "من عنوانه يقرأ الكتاب" ونبدأ بالقصيدة الأولى "ص ٤٤٩" ونصطدم بمطلعها:

كان رأسي في يدي مثل اللفافة وأنا أمشي كباعات الصحافة

المعنى كما تراه شبه مفقود.

إنه لا يفيد شيئا، وفوق هذه المصيبة المضمونية مصيبة أخرى لغوية "باعات" والصحيح مراعاة للوزن "بياعي" ونلاحظ هنا قسوة الناقد الحب للمبدع وهذا ما يظهر في قول بعكر: والمولى سبحانه يعلم أنني ما ألزمت نفسي العودة إلى رياض (البردوني) الشعرية، إلا لأمتع نفسي وغيري بتلقائية الفاتنة، حين تنمهر غمامات الشعر من فمه، وتترنق المعاني بقيثارته وفي كتابه "أشداء من الأدب اليمني" يعالج مجموعة من القضايا النقدية أهمها، أفاق الأدب الإسلامي وحدوده، النص يحدد هوية نفسه، الأدب

الملتزم، العمل الأدبي الناجح، "رجاء النقاش" عافية النقد" في هذه الموضوعات، يمارس ناقدنا بعكر دوره في التنظير الأدبي ويبدأ بأول قضية نقدية وهي مفهوم الأدب الإسلامي وهو يلخص ذلك في مجموعة من الكلمات الطهر، الله، الحق، الناس، الجمال، الطبيعية، فحيث وجد ذلك فثم الأدب الإسلامي الذي هو في صميم أدب الإنسانية الحقّة ذلك أن الإسلام هو دين البشرية الأول والأخير.

أما أدواته فالشعر أشكاله ما دامت مضامينه نابضة بدم الحقيقة مستبصرة بشمس الهدى والإيمان وحب الإنسان، والنثر بكل ألوانه من خطابة أو مقالة أو مقامة أو رواية أو قصة أو أقصوصة أو مسرحية ورغم وجاهة الفكرة وتكامل التنظير.

ومن وجهة نظر أفضل أن ينسب الأدب إلى لغته فتقول الأدب الفرنسي، الأدب الإنكليزي، الأدب الأسباني، من ثم تكون تسمية أدبنا بالأدب العربي أقرب إلى الصواب ، وإلا سوف نسمع عن أدب يهودي وأدب مسيحي وأدب بوذي، ثم يتحدث ناقدنا بعكر عن كتاب الناقد الكبير رجاء النقاش "ثلاثون عاما مع الشعر والشعراء": فيقول: ظهر هذا الكتاب مقدما عطاء نقديا متميزا بالموضوعية والرحابة ومباركا بالإحادة دون التفات إلى الموقف الأيدلوجي أو اكتراث بالشكل الشعري، وإنما يحرص أكثر ما يحرص على توفر المقومات الثلاثة لأي عمل إبداعي:

١ - الفنية المقدورة بالعطاء.

٢ - صدق التوصيل بالعطاء.

٣ - سلامة الأساسيات المكونة لكيونة الأمة وضميرها ووجدانها فكان لي وأنا الذي أنتظر مثل هذا العطاء الفريد النضيد أن أعتبر رجاء النقاش عافية للنقد العربي من هذه الحقة المكتظة بدخان التلوث من أكثر من بؤرة وأكثر من وجهة.

ومن خلال الاشتباك النقدي مع الكتاب نكشف مدى حرص ناقدنا بعكر على كل ما هو رصين، فهو ملتزم بعمود الشعر وزنا وقافية، مدافع عن التراث العربي الأصيل، رافض التيارات الثقافية التي يعتقد من وجهة نظره أنها مريبة.

وتتلور تلك القناعات الجمالية والمعرفية من خلال كتابه "شاعر التوحيد والعدل والجمال" عبد الرحمن بن يحيى الأنسي. يقول أي كونغ شاعر الصين الكبير: إن الشعر هو فن التفكير بالصورة، ونرى ناقدنا الحضرمي يؤكد ذلك فيقول:

أصبح من بديهات الفن الشعري، أن الصورة الشعرية هي ذروته الفنية، وخالدته الإبداعية، ولصاحبنا هنا واديان يصدران عن نهر واحد هما: التصوير الساخر والتشخيص.

هذا النهر المقدرة التصويرية الدافقة بمختلف مواضيعها ومعطياتها.

وكثيرا ما نرى تصويره الساخر والتشخيص منصبا أو بارزا في حالة الانتقام من الظلمة والعصاة، فهل يعود ذلك إلى قسوة في الطبع، كم حلا للبعض اتهمه به، وإطلاقه عليه والانصاف يقتضينا التنبيه على أبرز صفات الرجل وسماته النفسية والأخلاقية.

كما قرأناها في "الأنموذج"، فقد كان كثير العطف على الضعيف، والهوادة مع الجاهل المغرور به والمخدوع، قدر ما كان حاد المزاج، شديد الرغبة في الانتقام من الظلمة المستكبرين، والغشمة المتعجرفين ونستخلص من ذلك أن ناقدنا متمكن في نقد الشعر والشعراء فهو المحيط الذي يجيد السباحة فيه بمهارة واقتدار، كما أنه واع بعناصر التفوق الشعري وخاصة الصورة الفنية ومن ثم يختار من الأبيات للشاعر الآنسي ما يبرهن على المقدرة التصويرية للشاعر مثل:

|                   |                    |
|-------------------|--------------------|
| معشوقة الحركات من | ظرف تسيل به وتندي  |
| وقعت منها كلما    | أحفى تمنيهـا وأبدي |

ناقدنا بعكر الحضرمي يربط بين الشعر والشاعر، بين النص و كاتبه ومن ثم لا يؤمن بنظرية موت المؤلف وأعتقد أن المنهج التكاملي في النقد عاد ليعترف بتلك العلاقة بين المبدع وإبداعه، هو ناقد يمتلك أدواته من منهج ولغة وقدرة على إضاءة النصوص الشعرية من الداخل.

## المؤرخ

امتاز المؤرخ بعكر الحضرمي بمنهجه ورؤيته ودقته وعمق تجربته وخبراته .. كان مؤرخا من طراز نادر، وهو قوي الحجة له أسلوبه الشيق وقدرته على الإقناع ومن أهم كتبه "نظرات في التاريخ العام لليمن"، و"ملاحم اليمن والضمادات المطلوبة"، وفي كتابه "نظرات في تاريخ اليمن" اعتمد بعكر على القرآن خاصة فيما قبل مجيء الإسلام لأن القرآن أولى هذا الشعب من العناية أكثر من غير لأنه الشعب الأوحى في شبه الجزيرة العربية الذي كان له نبأ عظيم قص القرآن أدوارا منه، كما اعتمد الكاتب على الكتابات الحديثة والمستنبطة من محصلات النقوش والآثار المترجمة والمضيئة وقد بدأ الكاتب بتعريف الجمهورية اليمنية، ثم وقفة عند الأساسيات ثم كلمة عن عاد وثمود ثم عن الأنبياء من لدن هود ومن بعده من أنبياء اليمن ثم عن معين ثم كلمة عن سبأ وحمير ثم الملوك التحوليين طوال العهد السبئي والحميري ثم عن الأحباش، وركز الكاتب على اليمن في العهد الإسلامي وحتى ومنا هذا.

وقد راعى بعكر كمؤرخ التسلسل التاريخي وتوحي الحقائق التاريخية وما يدل عليها، كما اعتمد الكتاب في بعض فصوله على السرد التاريخي وجاءت بعض الأحداث أقرب إلى السرد القصصي، وهذا ما جعله ممتعا

للقارئ، وأظن أن السبب هو أن الكاتب المؤرخ هو أديب بالدرجة الأولى، ولم يغفل المؤرخ ما تعرض له اليمن عبر تاريخه من انتصارات وانكسارات. أما كتابه ملامح اليمن والضماطات المطلوبة فهو سياحة تاريخية وفكرية من خلال سياق أقرب إلى الأدب، كما ألقى الكاتب فيه الضوء على بعض الشخصيات التاريخية وهو حين يتحدث عن آل المهلب يقول:

هذا القائد الخالد هو وآله في ذاكرة الزمن، كان قاهر الخواري وأمير خراسان الذي أخلصها للإسلام ثم يعود الكاتب للشعر مرة ثانية ويورد ما قاله أحد الأحفاد المهلبين أيام العباسيين في قائد مهلي:

أبت إلا بكاء وانتحابا      وذكر للمغيرة واكتئابا  
ألم تعلم بأن القتل ورد      لنا كالماء حين صفا وطابا  
كما تحدث المؤرخ عن مظاهر الحياة الحديثة بما فيها من إيجابيات وسلبات كاشفا عن أسباب الظواهر ومحللا للدوافع والأسباب ومن ثم جاء الكتاب مشوقا ومثمرا.

## كاتب السيرة

كتابة السيرة هو منهج جديد ظهر بقوة في القرن العشرين بعد أن كان مقتصرًا إبان القرن التاسع وما قبله على الرحالة وغيرهم، ومن الثابت أيضا بهذا المجال الإشارة إلى أن العديد من الكتب التي ظهرت إلى الوجود عن السيرة كان قد دونها كتاب آخرون، ولعل أصعب كتابات السيرة هي تلك

التي لم يلتق كاتب السيرة مع الشخص المكتوب عنه بسبب موت ذي السيرة أي أن جمع المعلومات عن المتوفى بشكل محيط كانت النبراس لاستكمال ظهور سيرة متوف ما، وذلك ضمن عملية إبداع كتابة السيرة للآخرين، وهو نوع متداول في الوسطين الفكري والثقافي وتختلف السيرة الذاتية عن السيرة في أكثر من وجه، فموضوع السيرة الذاتية وكاتبها لا يزال على قيد الحياة يظل مطروحا، في حين يحسم كاتب السيرة في موضوعه ويقول الكلمة الفصل.

كما تتسم كتابة السيرة بترعة تاريخية لا تخلو من موضوعية، لأن المواد التي يستعملها كاتب السيرة، شأنها شأن المواد التي يستعملها المؤرخ، منفصلة عن الذات الكاتبة، في حين يمنح كاتب السيرة الذاتية من ينبوعه الذاتي، والشخص المتمثل في ذكرياته الخاصة، فتجيء الكتابة مغرقة في "الأنا" سابحة في الذات وليس هناك معيار موضوعي للنظر في مصداقيتها وصحتها، وذلك لاختلاف الغاية وقد كتب بعكر في السيرة الذاتية معتمدا على المزج بين التاريخ وصاحب السيرة والأدب، ومن هذه الكتب، الرجل الذي أحبه الحرم والحرم عن بطل الجمهورية / عبدالله بن حسين الأحمر، ثمانون عاما من حياة النعمان، مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، كتابه "ثمانون عاما من حياة النعمان" يتساءل الكاتب لماذا النعمان؟

وتجيء الإجابة كالآتي: لأن النعمان هو أطول جسور المسار مكانيا وزمنيا، أما مكانيا فلأنه صاحب بصمات فاعلة وباقية في حياة الشطرين جنوبا وشمالا، وأما زمنيا فلأنه حمل الراية قبل الزبير بما يقارب العقد وعاش بعد استشهاده بما يقارب الثلاثة عقود ولا يزال كاتب السيرة هنا يختار ويعلل الاختيار ثم يدلل على ذلك، ولكن إن كانت توجد مأخذ في كتابته للسيرة فأفهما تكمن في ذكر نقاط القوة في الشخصية موضوع السيرة وتهميش نقاط الضعف، ونحن نعلم أنه لا توجد شخصية دون وجود نقاط ضعف، لأن عدم ذكر نقاط الضعف في الشخصية يؤدي إلى المبالغة في تعظيم الشخصية، أما عدا ذلك فإن كاتبنا بعكر حريص على جمع معلومات كافية لكتابة السيرة، ولديه قدرة فائقة على ترتيب الأفكار، ثم قدرته الفائقة في وضع كل ذلك داخل نسيج فني فهو يتحدث عن الإخاء بين نعمان والزبيري في أسلوب تحليلي يتسم بالعمق الفكري، يذكرونا بالكاتب الكبير عباس محمود العقاد في العبقریات التي أبدعها.

يقول الكاتب:

"إن هناك حقيقة ثابتة تقوم عليها فكرة الإخاء بين نعمان والزبيري، هذه الحقيقة ليست العاطفة، وليست الأشواق المبرحة وليست المنفعة ولا التجارة، وليست الشركة في مغنم ولو كانت شيئا من ذلك لما ثبت تلك الأخوة وسط الأعاصير والأهوال".

ثم يصل الكاتب في النهاية إلى فكرة الوطنية الخالدة هي التي جمعت بين الرجلين وبنفس الأسلوب كتب بعكر سير النابغين والمشهورين من العلماء والأدباء والزعماء والشعراء.

### **كلمة في الختام**

لاحظنا أن التعددية سمة هذا الشاعر المؤرخ الناقد وكاتب السيرة الذاتية، وهذه التعددية كان لها أثر كبير في كل ما كتب لقد تميز في الشعر لأنه ناقد وتميز في النقد لأنه شاعر وتميز في الاثنين لأنه عاشق للتاريخ، وكتب السيرة باقتدار لأنه شاعر وناقد ومؤرخ، أفاده الشعر بلغة عربية سليمة وبلغية وأسلوب يتدفق سلسلا، وأخذ من النقد موضوعيته ومقدرته على التحليل والمقارنه والتنظير، وأسبغ عليه التاريخ نعمة التبصر وتكوين رؤية متكاملة، وظني أن هذا العالم الشامخ والأديب المتنوع والشاعر المطبوع والناقد المتميز والمؤرخ الحصيف لا تستطيع دراسة مثل هذه أن تستوعبه، إن التكافؤ مع هذه الشخصية الثرية يحتاج إلى كتب عديدة.

## القسم الثاني



## حوار مع دان بروان

حققت رواية "شفرة دافنشي" أرقاما خيالية في مبيعاتها وكان لهم ردود أفعال قوية في معظم أنحاء العالم وللكاتب أعمال أخرى مثل حقيقة الخديعة، وملائكة وشياطين، والجحيم التي صدرت حديثا والقلعة الرقمية الذي يدور حولها هذا الحوار، ومن خلال هذا الحوار مع الكاتب نتعرف على عالمه الإبداعي ودوافعه في الكتابة.

ولد دان بروان في بلدة صغيرة هي نيو انجلند إكستر في نيو هامشير عام ١٩٦٤، وكان ابنا لمعلم يمتلك مكتبة كبيرة زاخرة بالكتب، وقد سار الابن على نهج والده في التعلم والعمل فقد عمل بعد تخرجه مدرسا للغة الإنجليزية، أما السفر ولعب التنس وتأليف الموسيقى فهذه كلها أشياء مصاحبة للكتابة.

- هل خططت لنفسك كي تكون كاتباً؟

• ليس بالضبط، عندما تخرجت من الكلية كنت أحب شيئين كتابة القصة والموسيقى، عشت في هوليوود فترة حاولت أن أفعل شيئاً في مجال الموسيقى والأغنية، ولم أوفق في ذلك فقررت أن أتجه لكتابة القصة وحققت مبيعات لا بأس منها، فعرفت أنني موهوب في الكتابة لكن الأمر يحتاج لشيء من الصبر والاستمرارية ومن ثم بدأت رحلة الكتابة.

- هل أعدك التعليم لأن تكون كاتباً؟

• إلى حد كبير لأنني قرأت كثيراً من الكلاسيكيات، حيث الإتقان في صناعة الحبكة والوصف، كم أن مناقشة وتحليل الأعمال في قاعة الدرس كان لها أثر كبير في عملي.

- ما هي أهم الدوافع وراء كتابة روايتك القلعة الرقمية؟

• في ربيع عام ١٩٩٥ ظهر أحد الطلاب على النت ومن خلال البريد الإلكتروني الذي أرسله لأصدقائه علمنا أنه استطاع الوصول إلى جهاز المخابرات السري الأمريكي، بل كان مستعداً لقتل الرئيس الأمريكي كلنتون، ورغم أن وكالة المخابرات الأمريكية لم تبد ذعراً كبيراً لما يقولونه هؤلاء الأطفال في بريدهم الإلكتروني إلا أنني بدأت البحث في هذا الموضوع، وقمت بدراسات حول منظمات مثل وكالة الاستخبارات

الأمريكية ووكالة الأمن القومي حيث لا يعرف أكثر من ٢٠% من الأمريكيين دورها، كيف تعمل الوكالة مثل مكنسة كهربائية تقوم بامتصاص بيانات الاستخبارات حول العالم وتقوم بمعالجتها، وكيف يتم البحث عن الكلمات الخطرة، وكيف تكون السرية والمغزى الساحر لمفهوم الأمن القومي، كل هذه الأشياء كانت خلفية عظيمة لرواية القلعة الرقمية.

- كيف واصلت البحث من أجل كتابة هذه الرواية المعلوماتية؟

• أنا لا أعتقد أن رواية القلعة الرقمية هي رواية تقنية مشفرة فقد اعتمدت على المطاردة وقصه حب كخلفيه للوكالة السرية الساحرة، ولم يؤثر الجزء المعلوماتي على جاذبية الرواية، ومن خلال الرسائل التي وصلتني أكد القراء أنهم أحبوا الرواية بعيدا عن الكتابة المشفرة ووكالة الأمن القومي. إنها رواية وليست حاسوبا.

- كيف التحمت بمصادر وكالة الأمن القومي مثلا؟

• بينما كنت أبحث عن طريقة مشفرة لكتابة رواية القلعة الرقمية تكلمت مع بعض الناس الذين اكتشفوا فيما بعد أنهم كانوا ضمن ضباط الأمن القومي السابقين، وقد كنت محظوظا بالاجتماع وجها لوجه مع وكيل مؤتمن على السرية في المفوضية الأمريكية ، وقد ساعدني قانون حرية المعلومات كثيرا في ذلك.

- ما مقدار تعرف الحكومة حقا حول حياة المواطن المتوسط الخاصة ؟

- الحكومة تعرف كثيرا عنا أكثر مما نتخيل، فلديهم الأقمار الصناعية التي تستطيع استماع نداءات الهواتف الخليوي وكل أنواع أجهزة الاتصال الإلكترونية الأخرى، لكن وكالة مثل وكالة الأمن القومي مثلاً أكثر اهتماما بالإرهابيين من المواطن المتوسط العادي الذي لا يشكل خطراً.

- هل كانت التعليقات التي وصلتلك بأن الرواية مرضية؟

كانت التعليقات التي وصلت بخصوص القلعة الرقمية مرضية جداً، وقد اعتبرت الرواية من الكتب الأكثر مبيعا وهي تعد الآن كفيلم سينمائي، وصلتي رسائل كثيرة من قراء متحمسين أعجبهم البعد الأخلاقي الذي طرحته الرواية في الوقت المناسب متمثلاً في هذا السؤال.. ما مقدار السرية التي يجب أن نستسلم لها كمواطنين لضمان أمننا القومي؟ وهناك بعض القراء الذين قالوا إن بعض أحداث الرواية يمكن أن تحدث في الحياة الحقيقية.

- بعيدا عن الاستخبارات والقراء النهمين بقراءة رويات التجسس... لم يكن الأمريكيان يعرفون كثيراً عن جهاز الأمن القومي "nsa" فما هو طبيعة عمله بالضبط؟!

- ثم تأسس جهاز الأمن القومي في نوفمبر عام ١٩٥٢ من قبل الرئيس ترومان وعمله هو تحليل المعلومات الاستخبارية التي تأتي من الحكومات

العدائية لأمريكا، كما أنه يمكن الاتصالات الآمنة بين الجيش والمسؤولين الأمريكيين، وهو مسئول عن شن حرب المعلومات وسرقة أسرار الناس الآخرين وميزانيته ١٢ بليون دولار سنويا ويعمل به حوالي ٢٥٠٠٠ مستخدم ويشغل مساحة ٨٦ هكتارا، وهو بيت حاسبات العالم الأكثر فعالية بالإضافة إلى بعض كتاب الشفرة الأكثر روعة، وعلماء رياضيات وتقنيين ومحللين، ورواية القلعة الرقمية تدور حول نموذج نسائي رائع يعمل داخل هذه الحيطان المقدسة، والهدف الجوهري للجهاز هو مراقبة اتصالات المواطنين الأمريكان، لأن هذه المراقبة ضرورية لسلامة الجمهور الأمريكي من الأعمال الإجرامية الإرهابية الأخرى.

- ما هو الجزء الذي كان كان أكثر صعوبة في كتابة القلعة الرقمية؟
- كنت أجبر نفسي لقضاء من ٥ إلى ٨ ساعات يوميا على المخطوطة، لقد كتبت أكثر من ألف صفحة حتى تخرج الرواية في ٣٥٠ صفحة.
- كيف خلقت هذه الشخصيات الرائعة من أمثال سوزان فليتشر كاتبة الشفرة، الجميلة الذكية، وديفيد الأستاذ في جامعة جورج تاون واختصاصي اللغة الأجنبية؟
- سوزان وديفيد من النماذج البشرية التي أعرفها جيدا لأنني مغرم بالقراءة عن الشخصيات التي لها مواهب استثنائية.

- هل التقدم في التقنية تعني موت السرية للأشخاص؟

- نعم كل يوم يصبح المدنيون لديهم أسرار أقل وأقل، لقد العالم مكانا خطرا، فالمجرمون عندهم القدرة للوصول إلى نفس التقنية، إذا أرادت الحكومة أن تمسك الإرهابيين الذين يستعملون البريد الإلكتروني أو الهواتف الخلوية في هذه الحالة فإنها تزود بوسائل لمراقبة هذا النوع من الاتصال وفي النهاية يكون ثمن الأمن القومي خسارة كلية في مجال السرية.

- دعنا نتحدث عن الأماكن وهل يضيف المكان بعدا للقصة؟

- إذا أردت أن تكتب قصة حب لا تضع القصة في منتصف مع موقف السيارات، ولكي يكون الوضع مثيرا لا بد أن يتناغم المشهد مع الموقف، فإذا كتبت قصة في مدرسة خاصة ولم تكشف من خلال المعلومات عن ماهية عمل المدرسة وأسرارها فإن الوضع يصبح مملا.

- هل مهم للكاتب استعمال شبكة النت؟

- إذا أردت أن تكتب عن شيء ما وبدأت في استعمال الويب فلا بد أن تدرك مدى المسؤولية لأن أكثر من نصف المعلومات في عداد القمامة، ومن المهم مراعاة ذلك أما أنا أستعمل الويب كأداة إلهامية لتكوين الأفكار كما إنني أعتمد على الكتب أيضاً.

- ما هي الكتب التي تحب قراءتها؟

- أعرف أنه من المفترض أن أدرج كل الكتاب العظماء الذين أهتموني لكنني مشغول جدا بالكتابة ولا وقت عندي للقراءة غير ما يخص عملية البحث من أجل الكتابة وأثناء الكتابة أمسك بعض القصص المثيرة الموجودة على الرف وأبدأ القراءة.

- ما هي أهم مشاريعك في الكتابة الآن؟

- لقد اشترى الناشر حقوق تأليف روايتي القادمتين، لذا أنا جاد في العمل في قصة التيكنو المثيرة وموضوعها يدور بين سويسرا وروما حيث المعركة القديمة بين العلم والدين بدأت تسخن مرة ثانية.



## نايبول والحضارة الإسلامية

من حق الذي يحصل على جائزة نوبل أن يشغل الناس حتى وإن كان هذا الانشغال موقوتا، لأن هذه الجائزة تعبر بمن يحصل عليها إلى مرحلة العالمية.. ولما أعلنت الأكاديمية السويدية في أكتوبر ٢٠٠١ اسم الفائز بالجائزة في الآداب جاء اسم نايبول مدهشا ومحيرا للكثيرين، فهل كانت الدهشة تقصد مدى تنوع الإبداع وتميزه من عدمه؟ أم أن آراء الكاتب السياسية ولا سيما المقترنة بالإسلام والمسلمين كانت هي محرك الدهشة وسبب الحيرة؟!

لكن اللجنة المشرقة قد منحت الجائزة وعبرت عن حيثية الاستحقاق بهذا الملخص "لأنه يمتلك رؤية متكاملة في رواياته ويمتلك أيضا وجهة نظر محايدة ونزيهة في الأعمال التي تتناوب التواريخ والحضارات الأخرى".

ومن خلال هذه العبارات الموجزة لا نستطيع أن نفرغها من الدعامتين الأساسيتين وهما الرؤية الفنية والرؤية الفكرية، كما لا نستطيع أن نغفل دور ونشأة الكاتب وتكوينه الثقافي في تقييم أفكاره ورؤاه، ونحن أيضا في حاجة إلى نوع من التأمل النقدي في أهم أعماله، نقول التأمل وليست الدراسة النقدية المتأنية الفاحصة لأن المقام لا يسمح بذلك ولا ننسى أن هذه البانوراما التي تستوعب كل هذه العناصر يمكن أن تشكل قاعدة انطلاق لرؤية أكثر عمقا وركيزة أقرب للانصاف، والمقصود بالانصاف هنا هو معرفة البواعث والدوافع التي جعلته ينتصر لثقافته على حساب ثقافة أخرى ويتحيز لحضارة بعينها، ويكمن أيضا أن نبين مدى اقتراب لجنة الجائزة من منطقة الهوى السياسي ومدى تلون الجائزة بإيحاءات ودلالات سياسية، وسوف يتطلب منا ذلك أن نطوف ونتجول مع الكاتب في حياته وأعماله ورحلاته.

### تائه بين الحضارات

ولد فيديا دهار . سوراج براساد والذي عرف بعد ذلك بـ "ف. س نايبول" في ترينداد عام ١٩٣٢ لأبوين هنديين من البراهمة هاجرا من الهند إلى جزر الهندية الغربية، وقد هاجر جدوده إلى ترينداد للعمل في مزارع السكر ليحلوا محل العمالة المفقودة بسبب إلغاء تجارة العبيد، ولم تخل هذه الجزيرة من العنصرية بين البيض والسود والهنود والأفارقة، أما عائلة الكاتب

فقد كانت كبيرة ولها الكثير من الفروع في كافة المستويات الاجتماعية، وكان له أخ وخمس أخوات وعدد يزيد على الخمسين من أبناء وبنات العم وقد كانت الثروة في جانب أهل الأم، ولذا كانت عائلته فقيره نسبيا ووالده كان صحفيا، وقد شعر نايبول أنه قريب جدا منه، ثم انتقل من جزيرة ترينداد إلى إنجلترا ليدرس الأدب الإنجليزي في جامعة أكسفورد وهو في الثامنة عشر حيث الثقافة الإنجليزية، وهكذا نشأ موزعا بين عالمين شديدي التعارض والتناقض، ولم يستطيع أن ينتمي كاملا لأحدهما وبينما كان نايبول يدرس في أكسفورد مات والده إثر أزمة قلبية عام ١٩٥٣ قبل أن يحقق أية طموحات أدبية، وقبل أن يشهد نجاح ابنه ككاتب، وبعد تخرجه تزوج من سيدة إنجليزية هي باتريشيا هيل عام ١٩٥٥ والتي ماتت عام ١٩٦٦ ثم تزوج بعد ذلك من مطلقة باكستانية تعمل صحفية اسمها ناديرا.

بدأ يمارس الكتابة بعد تخرجه مباشرة ثم عمل جزء من الوقت في هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) وكتب عددا من المقالات النقدية، أصدرها في كتب، وقدم عددا كبيرا من كتاب أمريكا الجنوبية المشهورين في الإذاعة.. كتب الرواية والقصة القصيرة والسيرة الحياتية وبرع في كتابة المقالات وأدب الرحلات ومارس الصحافة الأدبية في واحدة من المجالات الهامة من عام ١٩٥٧ إلى ١٩٦١.

ومن خلال عرض سيرة حياة الكاتب نرى أنه من أصل هندي من عائلة البراهمة لكنه عاش طفولته وجزء من شبابه في ترينداد، ثم درس في إنجلترا واستقر فيها فتشتت بين عوالم ثلاثة، كما أن اللغة التي كتب بها وأتقنها لم تكن لغته الأصلية ولذا فقد تمزق وجدانيا وفكريا بين ثقافات متعددة، وكانت هذه البذور من أهم العوامل التي أثرت في تكوين نايبول النفسي وجعلته يشعر دوما بالغربة والاغتراب والعزلة، فقد اكتشف بأنه لا جذور له وحاول دائما أن يتجنب ذلك الشعور بالانتماء ومن البديهي ألا نغفل أهمية المؤثرات الأولى في تشكيل كيان الكاتب الثقافي سواء عملت هذه المؤثرات بطريقة واعية أو انسابت عن طريق اللاوعي.

إن افتقاد نايبول لجذوره الحقيقة وإحساسه أنه غريب بلا وطن وكتابه بلغة الاستعمار وهو غير قادر على التواصل مع حضارة هذه اللغة، كل ذلك لم يقف عائقا أمام نجاحه ككاتب، بل أصبح شخصية بارزة بين أقرانه من الهنود الغربيين إلا أن ذلك ظل قابعا في الأعماق وطبع أسلوبه في الكتابة بمذاق خاص يتسم بالسخرية والتشاؤم مما جعل النقاد يربطون بينه وبين الكاتب الإنجليزي البولندي الأصل جوزيف كونراد وكلاهما وقع في فخ المأزق الحضاري.

### نايبول .. روائيا

هل سمعت أن أحدا من ترينداد يكتب روايات!!؟

جاءت هذه العبارة على لسان الناشر المتحضر في رواية "المدلك الصوفي" وتبين هذه العبارة مدى المعاناة التي يشعر بها الكاتب تجاه مجتمعه الفقير العشوائي مقارنة بتراث الأدب الإنجليزي الرصين، ومع ذلك فقد كتب نايبول الرواية والقصة والمقال حتى حصل على جائزة نوبل وأهدى هذا الفوز لكل من الهند وإنجلترا رغم أنه قال يوما ما:

"يبدو مستحيلا أن الحياة التي عرفتھا في ترينداد يمكن تحويلھا إلى كتاب". إن هذا الإحساس بالدونية الثقافية لم يبرح وعي الكاتب وسوف يظهر ذلك جليا من خلال استعراضنا لأهم أعماله، كانت رواية "عامل التدليك الصوفي" عام ١٩٥٧ بداية تعرف القراء على إبداع نايبول الروائي وتلاھا مجموعة من القصص القصيرة.

"شارع ميغيل" عام ٥٩ والتي فازت بجائزة سومرست موم الأديبة السيد بيسواس والتي صدرت ١٩٦١ والتي تلاھا بالأعمال الآتية "منطقة مظلمة" عام ١٩٦٤ والتي فازت بجائزة فونكس ترست "في بلد حر" عام ٧١ والتي حصلت على جائزة بوكربرايس وهي جائزة معروفة بثقلها الأدبي والنقدي ثم رواية "منعطف النهر" عام ١٩٧٧ والتي صدرت ضمن روايات الهلال المترجمة عام ١٩٩٢، ورواية "لغز الوصول" عام ٨٧، "طريق عبر العالم" وهو علم بين الرواية والسيرة وهو يرصد حركة الكولينيالية من

خلال تاريخ روائي ثم رواية "نصف حياة" وهي أقرب أيضا إلى قالب "السيرة الذاتية" من خلال البطل ويلي سومرست شاندران المولود في الهند عام ١٩٣٠ والذي أخذ اسمه الثاني من اسم الكاتب الإنجليزي المعروف "سومرست موم" وسيرة حياته تذكروا بسيرة حياة نايبول، ومعظم أعمال الكاتب تجمع بين الرواية والسيرة وتسودها روح التهكم والسخرية والتشاؤم أما الأعمال الأخرى غير الروائية فتذكر منه كتابه "الهند".. حضارة جريحة عام ٧٧ وكتابه " وراء الإيمان " و" بين المؤمنين " وقد أثار الكثير من الجدل والنقاش وسوف نعرض لها بإيجاز، ونايبول واحد من كتاب منطقة غرب الهند الإنجليزية السابقة وخاصة كتاب الرواية الذين ازدهر أدبهم بعد الحرب العالمية الثانية ومنهم أيضا: روجر ميس، أدجار هولزر، جون هيرين، ولسن هاريس، صامويل سليفون وهؤلاء قد كونوا كيانا لعالم يستطيع أن يقف موازيا للمجموعة التي تمثل الكتاب الإنجليزي والأمريكيين في فتره ما بعد الحرب، وقد انتشر أدب هؤلاء الكتاب الذين يكتبون بالإنجليزية خارج حدود بلادهم الصغيرة وهم لم يتساووا في النجاح الذين حققوه، ويعتبر نايبول واحدا من اثنين حققا انتشارا كبيرا والآخر هو "لامنج" الذي حقق انطبعا قويا بسيرته نصف الذاتية "قلعة من جلد" عام ١٩٥٣ إلا أن نايبول تفوق عليه، لأنه حقق نوعا من التكامل الفني، وحصل على جوائز عديدة في محيط الأدب الإنجليزي.

هو واحد من كتاب الكومنولث الجديد الذين يتعاملون مع المجتمع وماضيه تعاملًا جديدًا كنوع من التواصل غير التقليدي بين الرواية والمجتمع، رغم أنهم لم يتركوا القوة التقليدية للرواية والتي قلت في السنوات الأخيرة عند الكتاب الإنجليز، والأمريكيين، ونايول لم يكتب محتذا الموديلات الأدبية أو متأثرا كثيرا بالكتاب الإنجليزي جوزيف كونراد وفي رواية "الغز الوصول" يناقش حقيقة إنجلترا مثل رأي أنثروبولوجي، كما أنه يدرس موطن رأسه غير المكتشف والقابع في الأعماق، حيث يحكي عن انهيار ثقافات العالم الحديث وهي مسئولة عن فشل هذا العالم، وسوف نناقش ونفند هذا الاعتقاد الذي لم يك موضوعيا ونتعرف على الأسباب التي كونت وبلورت هذا الاعتقاد عند نايول وفي رواية "منطقة مظلمة" سجل اعتقاده هذا، وكيف أن خبراته السابقة بالهند قتلت جذور الانتماء لديه حتي أصبح كولونيليا بدون ماض ولا أسلاف أو إنجليزي دون مجارة في المحاكاة، وهو يتهم على أمثاله من الكولونيين الجدد ويصفهم بأنهم يستطيعون فقد تقليد أسيادهم الحاليين.

إن هذا الاستلاب الثقافي والانهيار بالغرب يوضح إلى أي مدى شعور نايول بالدونية وأنه لا جذور له، وقد ساهم كل ذلك في إحساسه الدائم بالعزلة والاعتراب وموقفه الفكري العدائي ضد كل ماهو أصيل ثقافيا

أوقديم حضاريا حتى أنه يتهم الهنود بأنهم جعلوا الحرمان أو الإعدام الذاتي دينا والعجز والسلبية فلسفة.

نعود مرة أخرى إلى نقطة انطلاق نايبول وهي رواية "متزل السيد بيسواس" والتي حلقت باسمه إلى آفاق الشهرة، هذا العمل الذي يجمع بين التراجيديا والكوميديا أو ما يطلق عليه "الكوميديا السوداء"، وقد استقى الكاتب أحداث الرواية وشخصياتها من علاقته بموطنه في ترينداد، وتلك العلاقة الخاصة جدا التي كانت بينه وبين والده والذي يصفه بأنه كان رجلا منهزما مثل "بيسواس" ويشعر دائما بالاغتراب عن عائلته، فبطل الرواية هندي من البراهمة يعيش في ترينداد واسمه "موهين بيسواس" وهو مثل والد نايبول شديد دائما على نفسه عميق جدا في جراحه، وقد يكون ذلك سببا في إخفاقه، فهو غير محظوظ منذ مولده، وكل طموح السيد "بيسواس" هو متزل يمتلكه يكون القاعدة الأساسية لوجوده واستقلاليته، ولذا نراه يكافح في كل الاتجاهات ويمارس أعمالا شتى، فهو تارة فنانا ورساما وتارة صحفيا ومرة كاتباً للقصص لكن كل ذلك لم يشفع للسيد "بيسواس" في امتلاك متزل، والرواية محكمة جيدا وتعلو فيها نغمة الرمز في تكامل وانسجام. إنها ثمرة ناضجة من مخزون خبرات الكاتب الأولى في ترينداد، وتمثل العلاقة بين الفرد والمجتمع وكفاحه في ظل ضغوط عاتية تحيد به عن تحقيق أهدافه وطموحاته حتى وإن كانت متواضعة، والرواية تقليدية من

حيث أسلوب الكتابة فالأحداث تنمو وتتلاحق رأسيا منذ ميلاد البطل وحتى وفاته مروراً بلحظات النجاح القليلة والإخفاق الكثيرة، والبطل يتحرك في إطار اجتماعي داخل وطن يعتريه الركود ويحاول البحث عن ذاته ولو في عيون أصدقائه.

إن الرواية تمثيل جيد لأدب العالم الثالث المكتوب بالإنجليزية، وبداية اعتراف قراء هذه اللغة بنايول كاتباً وروائياً.

### حضارة جريجة

كتب "نايول" هذه الكتب الثلاثة على مدار اثنين وعشرين عاماً: "الهند.. حضارة جريجة" عام ١٩٧٧، "بين المؤمنين" عام ١٩٨١، "وراء الإيمان" عام ١٩٩٨، وهذه المؤلفات غير روائية، وإنما هي كتابات اعتمدت على فكر الكاتب وآرائه وتأملاته، إنها وجهة نظر يعتنقها نابليون بعد رجوعه من الرحلات قام بها إلى دول العالم الثالث، وعلاقة ثقافات العالم الثالث بالحضارة الغربية هي المنطقة التي يفضلها الكاتب ويكتب فيها دائماً والمحور الفكري المركزي الذي يستند عليه ومن وجهة نظره يعتبر الحضارة الغربية هي المركز، أما الحضارات الأخرى فيجب أن تزول أو أن يسير أصحابها على نهج حضارة المركز، فلا بد للأطراف أن تسعى دائماً للغرب والمقصود بالأطراف كل العوالم ما عدا الغرب وخاصة دول العالم الثالث.

وفي كتابه: "الهند.. حضارة جريحة" والذي صدر عام ١٩٧٧ يفتری على الإسلام ويدعی فیقول: "إن تأثير الإسلام على العالم أشبه بالكارثة التي سببها الاستعمار" وحين يتكلم عن الهند باعتبارها حضارة جريحة یقول: "الأرض التي جرحها الاستعمار الإنجليزي ومن قبله الفتح الإسلامي" لقد وصلت درجة العنصرية بنایبول أن یساوي بین الاستعمار والفتح الإسلامي! لأن الكاتب قد فقد القدرة على التواصل مع تراثه فأراد أن یحو كل تراث إنساني آخر وكل إنجاز حضاري عدا الإنجاز الغربي، إن الماضي عند نایبول یذكره دائما بأدغال وأحراش وأكواخ "ترينداد" مسقط رأسه.. الماضي لديه هو الخوف والفرع والإحباط ورغم أنه اجتزر هذه التجارب والذکریات الألیمة فی رواياته إلا أن حجم المرارة أكبر من أن تشفیة الروایات فأراد أن یلسع بما تبقى لديه من مرارة الحضارات التي سبقت الحضارة الغربية.

واختص الإسلام دینا وحضارة بالنصیب الأكبر، وفي كتابه "بین المؤمنین" الذي صدر عام ١٩٨١، یعود الكاتب مرة ثانية فیتهم الإسلام والمسلمین بالتعصب الدینی والسیاسی، وقد عاب علیه كثير من النقاد والقراء هذه الزوایة الضيقة التي ینطلق منها فی إصدار الأحكام البعيدة كل البعد عن الموضوعية الفكرية، أما كتابة الأخير "وراء الإيمان" والذي صدر عام ٩٨، وقد کتبه بعد أن أقام بجولة فی عدد من البلاد الإسلامية غیر

العربية وهي إيران وأندونيسيا وباكستان وماليزيا يعاود نفس الإتهامات والإدعاءات بل، ويزيد على ذلك فيصف الإسلام في شبه القارة الهندية بأنه قوة أكثر تدميرا من قوة الاستعمار "البريطاني"، وفي مقال لنايول بعنوان "حضارتنا العالمية" في نوفمبر عام ١٩٩٠ يقول فيه: "سوف أتبني فكرة الأخذ بالحضارة الغربية وإزاحة أية حضارات أخرى لأنها حضارة السعادة فيها كل ما يتمناه الإنسان، الحرية والعدالة والاستمتاع والتقدم"، ثم يستطرد قائلا: "إن رحلتي من ترينداد إلى إنجلترا هي رحلة من الخارج إلى المركز، من الأطراف إلى القلب، قلب الحضارة الغربية التي هي المركز وكل ما عداها من حضارات هي أطراف ولا بد لها أن تنضوي تحت لواء الغرب".. هذا هو فكر نايول الذي يؤمن به ويعتقه ويردده دائما وينطلق منه في محاضراته ومقالاته وكتاباتة.

يقول صديقه السابق "بول ثيروكس" والذي قابله عام ١٩٦٦ في كمبالا بأوغندا كان "بول" يدرس الأدب الإنجليزي في كلية الآداب هناك، وجاء نابليون ضيفا على الكلية باعتباره كاتباً معروفاً، وأثناء حفل كوكتيل أقامته الكلية، ثم التعارف بين بول ونايول وكانت بداية صداقة بينهما استمرت أكثر من ثلاثين عاما ولكن منذ سنوات قليلة وبسبب تصرفات نايول وإتجاهاته قطع بول أواصر الصداقة معه.. يقول بول ثيروكس في مقال له بعنوان "قتل الأب" عن صديقه السابق نايول.

"لقد أعجبت في البداية بموهبته: وبعد فترة لم أعجب بشيء على الإطلاق، وأخيرا بدأت أتعجب من موهبته.. حقيقة أتعجب منها بل وأشك فيها، ووجدت نفسي أمر مرور الغافلين على الكثير من الصفحات في كتبه الأخيرة.. في الماضي كنت أهتم نفسي وأقول إن الخطأ خطأي أما الآن فإنني أيقنت أنه مجنون".

أليس غريبا أن يكون ف. س نايبول الأديب العالمي رقم ٩٨.. هكذا أراد القائمون على جائزة نوبل في الآداب في بداية الألفية الثالثة ومروور مئة عام على تأسيس جائزة نوبل، بل وفي هذا التوقيت بالتحديد ولكاتب وصل إلى هذه الدرجة من العنصرية ضد الإسلام والمسلمين.

## لورانس.. الكاتب العاشق

رغم مرور أكثر من نصف قرن على وفاة الكاتب والروائي الإنجليزي دى اتش لورانس إلا أنه ما زال يشير الجدل في كافة الأوساط الأدبية والفنية، باعتباره مفكرا جريئا وروائيا قد سبق عصره فكرا وفنا وحطم الكثير من التقاليد البالية.

لقد هز لورانس وقار البرجوازية الإنجليزية بكتاباته الرائعة عن الجسد لقد أحس لورانس بغموض الجنس ورهيبته وقوته وبأنه الحافز الأول الذي يدفع الحياة، إنه المشكلة التي درسها وأحسها ولمسها في بيئته، وهو الداء الذي رآه يمثل الظاهرة الخطيرة في المجتمع الإنجليزي والذي يحدث كثيرا من الانحرافات والتصرفات المرضية، وإذا لم يكن الكاتب مرآة صادقة لعصره ومجتمعه وتجاربه الذاتية فلا قيمة لإبداعه الفني الذي يكتبه، إن الوجود الإنساني في كثير من الأحيان يكون عنيفا وصارخا بل ومدمرا وواجب الكاتب ألا يهمله أو يتغاضى عنه، بل يجب أن يتعرض له ويعبر عن أجوائه.

إن الجنس في أدب لورانس جزء من حياة العصر الحديث المليء بمختلف أنواع الأحداث، لكنه لم يكن هدفا في حد ذاته إنما هو وسيلة للتعرف على أسرار الحقيقة التي تحرك النوازع والتصرفات وأنواع السلوك الإنساني.

إن لورانس لم يكن كاتباً جنسياً بل إتخذ الجنس أسلوباً لاكتشاف وتفهم روح الإنسان، إنه قناة العبور للولوج داخل هذا الكيان الإنساني المتشابك، إنه فرصة للتعمق داخل النفس البشرية بل تعمق الحياة الاجتماعية وتعريتها، فلا الجنس ولا الكتابة عن الجنس موضع اعتراض من أحد كي يتحدث عنهما من الناحية الأدبية والأخلاقية، إنما الاعتراض على ابتذال الجنس والاتجار به في سوق الملذات والشهوات واتخاذها وسيلة للترويج باستثارة الغرائز وتحريض التزعات البهيمية التي يتساوى فيها الإنسان والحيوان ولكن السؤال لماذا يكتب الكاتب عن هذه المسائل؟ والإجابة: يكتب بهدف التعرف على الحقائق الإنسانية وتمثيل العيوب والنقائص ومواطن الضعف في الطبيعة البشرية.

### **أبناء وعشاق**

إن العقدة النفسية التي تولدت في لورانس كانت بسبب تعلقه الزائد بأمه وكان هذا التعلق انعكاساً لحبها، حتى لقد طردت من حياته العاطفية كل عاطفة نحو امرأة أخرى وكان شبحها يقف بينه وبين كل فتاة يجذبها

حسنها، فإذا هو يعجز عن الإحساس نحوها بغير الحب الجنسي أما الحب القلبي الصافي كان وقفا على أمه دون سواها، وفي رواية أبناء وعشاق، يصور الكاتب الصارع النفسي الموجه الذي عاش فريسة له، بين عاطفته القوية لأمه وعواطفه الجنسية الحادة نحو غيرها من النساء ويزيد في ترجيح هذا الظن أن لورانس كتب هذه الرواية عام ١٩١٣ بعد وفاة أمه بفترة وجيزة.

أن بول بطل الرواية يغترف ما شاء من نهر المتعة مع عشيقته كارلا لكنه بعد فترة يحاول أن يتجنبها وينهرب منها، في تلك الأثناء تسقط أمه فريسة لمرض السرطان، فتنقل من المستشفى إلى بيتها تنتظر الموت البطيء المحتوم وتسوء حالة أمه وتستبد بها الآلام فيضعف بول عن احتمال عذابها وينهي آلامها بجرعة مورفين مضاعفة تقضي عليها، ثم يقف جاثيا إلى جوار فراشها ويقبل جسدها المسحي وهو يهمس لها ما لم يهمس به لامرأة أو عشيقة، إن حبه لها قد استأثر بقلبه وخنق فيه كل عاطفة نحو غيرها من النساء لكن شبابه يستيقظ فيه وينقذه من الاستسلام لحزنه فيكظم أساه ورغبته في الموت للحاق بأمه، ويمضي مسرعا نحو أنوار المدينة.

### لورانس والحداثة

في عام ١٩١٣ أعلن لورانس الحرب على أعمال جالزروثي وشو وكان يطلق عليها جماعة المسطرة والقياس الرياضي، وحين انتهى من كتابة

روايته أبناء وعشاق بما فيها من تعقيدات أدبية، بدأ يرصد هواجسه المستحوذة عليها بعبارات جديدة تماما وليتوارى العقل الواعي وليقدم العون إلى اللاشعور ليسود بكامل طاقته، وقد كان ذلك من قبيل التجديد والتحديث الذي لم يسبقه إليه أحد من قبل، لقد كانت طاقة الحياة في أدب لورانس شيئاً صوفياً وسحرياً وأسطورياً كل ذلك في غموض مقصود، فالغيبوبات والنشوات ونوبات الجنون السعيدة ومنابت الورود والرقصات بحضور القطعان وابتهاال الثمار المستمر والمحاصيل والحقول والتمائيل الصغيرة، كل ذلك يستثير مشاعر أبطاله، إن روايات لورانس من أمثال القديس مارو، والقنفذ، والشيطان المزين بالريش، تثير بما فيه الكفاية مسألة الهنات الأرضية، وفي الرواية الأخيرة يظهر كيف أن الأسطورة يمكن أن تعيد الماضي إلينا؟ وهذه فكرة حديثة وثرية.

### فانتازيا اللاشعور

إن فانتازيا اللاشعور أحد كتابين في التحليل النفسي أبدعهما الروائي البريطاني لورانس، إنه كتاب ضروري للفهم الأصح والأكمل لتلك الأعمال الروائية، يقول لورانس في هذا الكتاب:

"إن وجود هدف عظيم في حياة الإنسان يسعى لتحقيقه ليس من الجنس في شيء ويجب ألا يختلط به".

إنه فعل قوي في الاتجاه الآخر، إن أعظم ما يسعى إليه الإنسان هو تحقيق هذا الهدف، أما حين يفقد الإيمان به فإنه يشعر بالخسارة والتعاسة ويصل إلى مرحلة اليأس إذا ما وضع الإشباع الجنسي بديلا لذلك الهدف، وحين يتوارى الجنس من أجل الهدف العظيم يتحقق الكمال، ولكن من جهة أخرى لا يمكن لهذا الهدف أن يستمر طويلا دون إشباع جنسي حقيقي.

### محكمة لورانس

بعد ثلاثين سنة من وفاة لورانس عاد البحث من جديد في رواية عشيق الليدي تشاترلي على نطاق أوسع مما كان في حياة صاحبها، لأن الأمر بدأ في حياته وانتهى يومئذ بتحريم طبعها في البلاد الإنجليزية والولايات المتحدة وتم تهريبها للطبع سرا في المطابع الفرنسية والألمانية أما الآن اختلف الأمر، لقد جازفت إحدى دور النشر بطبع أربعين ألف نسخة من الرواية وإعداد مائتي ألف نسخة ثم إصدارها، وقد تمت محاكمة الرواة بعد أن قامت الشركة الناشرة باستدعاء الخبراء والشهود، فاستدعت خمسة وثلاثين خبيرا من مؤلفين وأساتذة جامعات والنقاد والقراء المثقفين وقد شهدوا بأنه لا يوجد في الرواية ما يمنع تداولها، وما جاء من مواقف جنسية لم يأت من أجل إثارة الشهوات ولم يتجر الكاتب بعرض المناظر المحرصة للغرائز الجنسية، ولكن كان هدفه الأول والأخير هو إبراز العيوب في الحياة الزوجية والعلاقات الاجتماعية من أجل علاجها وتدارك أسبابها.



## طاغور ونزعته الروحية

لقد وجدت في طاغور إسلامية فهو في روحه وقلبه وتعامله مع الإنسان مسلماً صوفياً من الطراز الرفيع، بيد أن للمسلم فرائض وسنن لا تتحقق في طاغور، ورغم نشأته ضمن أجواء إسلامية لكنني لم أتبينها فيه من خلال منظومة أركان الإسلام.

ويقينا لو أن طاغور اطلع على القرآن الكريم وقرأه متدبراً معانيه إذن لاعتنق الإسلام، فنفاذ بصيرته ونزعته الإنسانية مهيتان لذلك هذا ما تقوله الكاتبة العراقية سهيلة الحسيني المقيمة في مصر في أحدث كتبها "طاغور الجانب الإيماني"، والكاتبة باحثة في التراث العربي والإسلامي، وهي من مواليد مدينة الموصل في العراق في هذا الكتاب تناقش وتحلل الكاتبة هذه النزعة الإيمانية في شعر طاغور من خلال دراسة الرمز والصوفية وغيرها من الظواهر التي تؤكد وجود هذا الجانب الإيماني، شخصية طاغور شخصية

أثرت في الغرب قبل الشرق، فلم يكن شاعرا فقط بل أديبا ومسرحيا  
ورساما وفيلسوبا ومصلحا اجتماعيا.

نشأ في جو من الروحانية بسبب والده فقد كان من كبار روحانيي  
البنغال، عرف حب الطبيعة وأحب الله من صغره، ولد في ١٨٦١، توفيت  
والدته وهو في الرابعة عشر، وانتحرت أخته، وكذلك موت زوجته وثلاثة  
من أطفاله، وكل تلك الصدمات قادت به إلى حب الإنسانية كلها لا فرد  
واحد، وقادته كذلك إلى الانغماس في العمل والاجتهاد والإصلاح  
والإبداع، "كان قادرا على تحويل الألم إلى فرح، وكان يرى أن مهمته هي  
اكتشاف الله، إله كل هذا الجمال وتحويل وتعديل الحياة لتصبح أجمل" أين  
يمكنني أن ألقاك؟ إن لم يكن في بيتي الذي أصبح بيتك؟ وأين يمكنني  
الانضمام إليك.. إن لم يكن في عملي الذي صار عملك؟ إذا غادرت بيتي  
لن أبغ بيتك.. إذا قعدت عن عملي محال علي أن أنضم إليك في عملك ،  
إذ إنك تقيم في وأنا فيك، أسس مرفأ السلام ليكون مدرسة تعلم فيها  
الموسيقى ويدرس الشعر والرسم والعلوم والمسرح.

قال في يوم مولده الثمانين:

"عندما أجول ببصري من حولي أقع على أطلال مدينة مغرورة تنهار  
وتبعثر في أكوام هائلة من التفاهة والعبث ومع ذلك فلن أذعن للخطيئة الميتة  
في فقدان الإيمان بالإنسان، بل إنني بالأحرى سأثبت نظري نحو مطلع فصل

جديد من فصول تاريخه، عندما تنتهي الكارثة ويعود المناخ رائقا ومتناغما مع روح الخدمة والتضحية، سيأتي يوم يعاود فيه الإنسان، ذلك الكائن الأبي، خط مسيرته الظافرة على الرغم من كافة العراقيل، ليعثر على ميراثه الإنساني الضائع".

من أشهر أعماله ديوانه الرائع "جيتنجالي" الذي قال عنه الكاتب الفرنسي أندريه جيد: "ليس في الشعر العالمي كله ما يدانيه عمقا وروعة"

ترجم طاغور معظم أعماله إلى الإنجليزية وتوفي سنة ١٩٤١ بعد أن ناهز الثمانين، وحاز على جائزة نوبل للأدب عام ١٩١٤.

تقول الكاتبة: لقد كان طاغور أحد رموز التجديد في الأدب الهندي، وكانت لغته الرمزية في الشعر تتفوق على نتاج كثير من شعراء الصوفية ممن يغرقون في رموزهم و إيماءاتهم وإيحاءاتهم المكثفة، كما أن أشعار طاغور ذات سمات رقيقة ونسيج لا تخترقه النظرة البليدة أو العابرة، كما لا يحتجب أمام الرؤية الذكية الكاشفة والمتعطشة إلى استجلاء المعاني وليس المغالاة التي تسقط القيم الجمالية، وترهق القارئ كما في معظم الشعر الحر، فأفضل ما في الرمزية ترك مساحة للقارئ كيما يطلق العنان لخياليه وتصوره الخاص لإبراز الفكرة أو تحديد المضمون وفق خلجات نفسه وأحاسيسه من كلمات الشاعر:

يستخرج المرء المعني الذي يروق له  
ومع ذلك فإن أسمى هذه المعاني  
موجه إليه إليك

## رؤية طاغور للحضارة الغربية

ألقى طاغور محاضرة في جامعة طوكيو عام ١٩١٦ خاطب فيها الشبيبة بقوله: أنكم لا تستطيعون أن تلقوا الحضارة الحديثة كما هي.

إن واجبكم أن تدخلوا عليها التغيير الذي تتطلبه عبقرتنا الشرقية. وواجبكم أن تبشوا الحياة حيث لا يوجد إلا الماكينة، وأن تستعصوا بالقلب الإنساني عن حسابات المصلحة الباردة، وأن تتوجوا الحق والجمال حيث لا سلطان إلا للقوة الغاشمة والنجاح اليسير.

إن حضارة أوروبا نعمة ومسيطرة، تلتهم البلاد التي تغزوها. أنها تبديد الأفراد والهيئات والشعوب التي تعوق مسيرتها الفاتحة. إنها تستسيغ لحوم الآدمين، فهي تقهر الضعفاء وتثري على حسابهم. أنها آله للطحن، فهي تطحن أينما ذهبت الإنسانية، وتلقي بذور الغيرة والشقاق.. لأنها تصنع الفراغ حولها، فهي حضارة علمية مادية ومصدر

قوتها أنها تركز جميع قواها صوب غاية واحدة، الثورة والسلطة وتحت اسم الوطنية لا تراعي كلمة الشرف.

أما تمد بلا خجل شباكهها، ونسيجهها الكذب، وتقيم للمعبود الهائل البشع الذي تعبده المعابد المشيدة للكسب والمنفعة.. ونحن نتنبأ دون تردد بأن ذلك لن يدوم، لأن في العالم قانونا أخلاقيا مهيمنا ينطبق على الجماعات كما ينطبق على الأفراد، فإن هدم كل مثل أعلى في الأخلاق ينتهي بأن يؤثر في كل عضو من أعضاء الجماعة، ويولد عدم الثقة والاستهتار، ويحطم في الإنسان كل ما هو مقدس.

إن حضارة تجعل دأبها أن تتمرد على القوانين التي سنّها العليا القدير لا تستطيع أن تنتهي إلا إلى "كارثة".

ورومان رولان الذي سجل بعض فقرات هذه المحاضرة في يومياته أعلن "أن هذه المحاضرة التي تبين منعطفاً في أفكاره".

ألم يكن لها صدى في كبرى الصحف الأوروبية ولم تنشر إلا في المجلة المسماة "أوت لوك the outlook" الصادرة بنيويورك في ٩ من آب ١٩١٦.

الثقافة ليست معلومات محفوظة ولا تطبيقات منقولة بل هي في مفهومها الصحيح شيء يجاوز المهارة أو البراعة في أية ناحية من نواحي العلوم النظرية أو العملية.

الثقافة مرادفة في نظرنا لحضور القلب وبقظة الروح، وهما لا يكونان إلا مع الضمير الحي والعقل الناضج والقلب السليم.

ومتى استيقظ الوعي والضمير في الإنسان أصبح النظر والعمل عنده متلازمين وأصبحت حياته مصداقا لأفكاره فبعد عن الآلية والأنانية، وقصد إلى الغايات بأفضل الوسائل، واتجه إلى الجوهر والمخير، دون وقوف عند المظاهر والأعراض.. والأساس المتين الذي تقوم عليه الثقافة الواعية، ثقافة القلب والعقل، والحس، هو الاعتقاد بالقيم الروحية والمبادئ الأخلاقية، فلسنا نتصور أن مثقفا واعيا لا تصدر أفكاره وأعماله عن يقين راسح بأن الثقافة - كالحضارة - تقوم على الإيمان - أي على الرابطة الأخلاقية التي تدفع الناس إلى أن يفكروا ويعملوا متساندين، مرتفعين على بواعث الأنانية والأثرة متخطين نوازع المصلحة المادية المباشرة لقد استطاعت الكاتبة والأدبية سهيلة الحسيني أن تغوص في أعماق شعر طاغور قراءة ونقدا وتحليلا وتربط كل ذلك بالجانب الإيمانى وتكون رؤية تجمع بين العمق والمقارنة.



## جياو جوين

### رائد الدراما الصينية المعاصرة

بعد أن دخل فن الدراما الحديثة الصين في بداية القرن الحالي  
عمل كثير من كتاب المسرح الصيني على تكييف هذا الفن  
الوافد لخشبة المسرح الصيني، ومن بين هؤلاء الكاتب  
والمخرج المسرحي الشهير جياو جوين "١٩٠٥ -  
١٩٧٥".

اسمه الحقيقي جياو تشين جزهي، ولد في (تيان حين) وعاش حياة فقيرة  
وبائسة منذ طفولته، وقد ترك المدرسة مرات عديدة لأن عائلته كانت فقيرة  
إلى الحد الذي لم تستطع أن تساعد على نفقات دراسته، وحينما كان في  
المرحلة الابتدائية والمتوسطة من الدراسة اندلعت حركة ٤ مايو الثقافية  
الجديدة، وبدأت الدراما الغربية في الدخول إلى الصين تحت اسم "الدراما  
الجديدة" أو الدراما المختصرة لتمييزها عن الأوبرا الصينية التقليدية، كانت

مدرسة (ناي كاي) آنذاك نشطة جدا في تطوير "الدراما الجديدة" واشترك طلابها بأنفسهم في التجمعات المسرحية، وأعدوا ومثلوا مسرحيات جديدة وكان ذلك من أجل الكفاح ضد اضطهاد الإقطاع والامبريالية وأصبح جياو عاشقا "متحمسا" لهذا الفن بعد أن تأثر بذلك الاتجاه الاجتماعي الجديد، وقد اشترك بالتمثيل في مسرحيات عديدة، واتخذ لنفسه مسرحا أسماه باسمه.

في ١٩٢٤ أتمى عامه الثاني من مرحلة التخرج، وتخرج قبل مواعده بعام بسبب ذكائه الملحوظ، وشرح لدخول الجامعة في "بكين" وأثناء الدراسة هناك شغل، وقت فرغه بالكتابة والترجمة، وعمل مدرسا كي يدفع نفقات معيشته وتعليمه، ولأنه أحب الدراما فقد اشترك في الأنشطة التي كان ينظمها دارسو الدراما.

وقد ترجم كثيرا من المسرحيات الأجنبية إلى الصينية - معظمها لموليير وجدولدوني - وبالرغم من أنه لم يقرر أن يجعل الدراما طريق حياته في ذلك الوقت، فإنه بلا وعي انهمك فيها.

بدأ جياو جوين دراسته الأكاديمية بدراسة الأوبرا الصينية التقليدية في عام ١٩٣٠ عندما كان رئيسا لمدرسة الأوبرا في بكين وكان عمره خمسة وعشرين عاما فقط، ولم يكن قد درس الأوبرا الوطنية دراسة منهجية ولم يكن في نظر المحترفين سوى رجل محب لعمله ومنكب عليه.

## بين الأوبرا الصينية والدراما الغربية

بدأ جياو يدرس الأوبرا في "بكين" على أيدي متخصصين ذوي أساليب مختلفة وقد لاحظ تلك الأساليب أثناء بحثه في أصل وتطور الأوبرا الصينية، وقد هيا له ذلك فهما عميقا للأوبرا الصينية التقليدية.

عامل مدرسو الأوبرا الصينية الدارسين كمبتدئين وعلموهم شفاهة، وقد دعم جياو ذلك ولكنه اشترط على الدارسين أن يدرسوا اللغة الصينية واللغات الأجنبية: نظرية الفن، الأدب الصيني، تاريخ الدراما الصينية والأجنبية، الموسيقى، الفن التشكيلي، والفنون العسكرية، واستطاع أن ينجز كل ذلك بعيدا عن تجمعات الإقطاعيين وأمد المدرسة بالدراسات وقد كان ذلك شيئا غير مألوف في ذلك الحين، وثور بعض أساليب الغناء وقد يبدو ذلك سهلا ومنطقيا اليوم ولكن في العشرينات والثلاثينات كان ذلك الأمر صعبا ومحفوفا بالمخاطر.

في ١٩٣٥ غادر جياو "بكين" إلى فرنسا والتحق بجامعة باريس ليحصل على درجة الدكتوراة في الأدب وقد عمقت دراسته للدراما لغربية رؤيته الفنية، كما أنه اهتم بتصنيف المعلومات التي جمعها ليعمق فهمه للدراما الصينية التقليدية.

وحصل على درجته العلمية في عام ١٩٣٨ وكان موضوعها:

"الأوبرا الصينية التقليدية اليوم" وقد نشرت هذه الدراسة ضمن سلسلة المسرح العالمي في الصين وفيها شرح أصل وتطور الأوبرا في بكين وعلاقة ذلك بالنظام التعليمي وفيها شرح أصل وتطور الأوبرا التقليدية في الثلاثينات، كما أنه عرض بالتفصيل كيفية تطور الدراما الحديثة في الصين، لكن خطته بالبقاء في باريس قد اخفقت بنشوب الحرب في الشرق الأقصى أثناء الحرب العالمية الثانية وأسرع عائدا لوطنه في يناير ١٩٣٨، في ذلك الوقت كانت كل من بكين وشنغهاي قد احتلتا من قبل اليابانيين، واضطر جياو أن يسافر إلى سيشوان عن طريق هونغ كونج حيث أصبح في ١٩٣٠ عميدا للدراما في مدرسة الدراما الوطنية في جيان جوان، وأخرج مسرحية هاملت لخريجي المدرسة والتي أعدها لتلائم الظروف الوطنية آنذاك، وقد أحدث العرض الأول ضجة في المناطق المجاورة وأتى الناس لمشاهدة المسرحية من أنحاء نائية عن طريق البحر وكان ذلك تقديرا لتجربته الأولى.

### ميلاد كاتب مسرحي

بعد أقل من عام في "جيان جوان" ذهب إلى تشونج كينج لترجمة مذكرات الكاتب المسرحي السوفيتي "دانرينكو". كما أنه ترجم بعض الأعمال الدرامية لتشيكوف ورواية "نانا" لزولا وبعض الأعمال الأدبية لكاتب من المجر، وأثناء ذلك طور مقدرته ككاتب مسرحي باستكشاف

حقيقة وواقع الدراما الأجنبية، وأخيرا سرح قائلا كانت مقدرتي المسرحية لا تزال ساذجة جدا، لكن تشكيوف قد فتح عيني وأوضح لي الطريق إليها. وبعد عام من هزيمة اليابان في ١٩٤٥ عاد جياو إلى بكين عميدا لقسم الإنجليزي في الجماعة، ومع أن الوظيفة لم تكن تتفق وميوله إلا أن اهتمامه بالدراما لم يتغير فقد دعاه أحد الأصدقاء لإخراج مسرحية "الحانة الليلية"، وهي معدة عن وراية "الأعماق السفلية" لجوركي فقبل الدعوة بسرور عميق، وقد تم إعداد هذه الرواية للمسرح جيدا فتناولت قطاعا عريضا من حياة السواد الأعظم من الشعب، وعبرت ببحوية عن مشاعر هذه الطبقة وعاصت في أعماق أعماقهم، ومع ذلك فقد خلت من الحبكة المعقدة وكانت تدريبا طيبا على أسلوب ستانيلافسكي، وتميزت المسرحية بالتركيز على المغزى الاجتماعي كهم أساسي ومع ذلك لم يتم التعرف على جياو كمنخرج معترف به إلا بعد تأسيس الجمهورية الشعبية، لأن المجتمع الجديد وفر له الظروف المناسبة ليطور مواهبه وامكانياته.

وحيثما تم تأسيس مسرح الفن الشعبي في ١٩٥٠ دعي لإخراج مسرحية الكاتب المسرحي لاوشي الجديدة "الثنين" وقد نجح أول عرض لها في ١٩٥١ نجاحا عظيما، وفي العام التالي اختير مخرجا ونائبا لرئيس مسرح الفن الشعبي، وقد كانت ترجمته لمذكرات دانرينكو نقطة تحول في حياته، فقد ألهمته ضرورة وجود فن صيني مساو لما في المسرح السوفيتي، والآن عليه أن يحقق طموحاته في ذلك المضمار، وفي العشرين سنة التالية أسس

جياو مدرسة للإخراج تحمل أسلوبه الخاص ووضع نظرية ممنهجة وشفافية وقد شملت معظم أعماله الناجحة ومنها "التنين" و "صالة الشاي" و"النسر".

### تأصيل الدراما الحديثة

ارتأى جياو الحاجة إلى تطويع أفكار ستانسلافسكي لتصوير الحياة الصينية، وقد نجح في ذلك ولا سيما في مسرحيتي الحانة الليلة والتنين أما المبادئ الفنية الرئيسية فإنه أبقى عليها، ولم يكن هناك بون شاسع بين الدراما الغربية وبين الأوبرا الصينية فكلاهما يقترب من الآخر ويؤدي إليه فقدم الأوبرا التقليدية من خلال أسلوب الدراما الحديثة وتبلور ذلك في إخراج المسرحية التاريخية "النسر" في عام ١٩٥٦ ولم يكن ذلك بهدف تحويلها إلى دراما حديثة ولكن لإثراء المسرحية، وبالرغم من أن هذه التجربة لم تحقق الهدف الذي كان يتوقعه لكنه من الناحية الأخرى أصبح أكثر يقينا بأنه من الممكن تأصيل وتصيين الدراما الحديثة، وتلك الدراما الحديثة سوف تشكل أسلوبه الخاص به طالما اعتمدت على عناصر مستمدة من شكل وأسلوب الأوبرا التقليدية، ولإنجاز ذلك فإنه لم يجرب فقط المسرحيات التاريخية بل جرب أيضا المسرحيات ذات الموضوعات المعاصرة، وفي عام ١٩٥٧ قرر مسرح الفن الشعبي إخراج مسرحية "صالة الشاي" وهي من تأليف لاوشي وقد تعاون مع نفس المؤلف في المسرحية الناجحة

"النمر"، لأن لاوشي اعتقد بان جياو استوعب مسحريته بعمق وذلك الفهم المتبادل ساعد على تقارب فكريهما.

في مسرحية "النمر" حاول جياو أن يجتذب روح وشكل الأوبرا التقليدية للدراما الحديثة، ولكنه عندما بدأ في إخراج مسرحية "صالة الشاي" وضع روح الأوبرا التقليدية داخل إطار التطبيق، وقد تطلب ذلك دقة في الشكل وحيوية تصوير الشخصيات وقد نجح جياو في جعل حركة الشخصيات منطقية وفريدة محدثا بذلك مؤشرات مسرحية رائعة، وبذلك طور في أسلوب معالجته في مسرحية "النمر" وكان ذلك تطورا في أداء الدراما الحديثة وخلق فن مسرحي جديد بأسلوب وطني أصيل، وبعد سنوات من الاجتهاد والمثابرة و الاكتشاف والممارسة عمل جياو على "تصيين" الدراما الحديثة، وبدأ بذلك عهدا جديدا وأخرج أثناء ذلك العديد من المسرحيات محاولا تصوير الحياة من خلال الفن، فأخذ من الأوبرا التقليدية التعبير الفني الجمالي ومن المسرح الغربي بعض تصميماته.

وقد نقح ذلك وطوره فحقق الانسجام والتناغم في الصنعة المسرحية والأداء وأظهر أداء شخصياته حتى أن أحد الكتاب المسرحي خاطبه قائلا: "لقد شيدت قصرا للفن"

## مفهوم جديد للدراما

وفي عام ١٩٥٠ أخرج جياو مسرحية "التنين" كان هدفه وضع شريحة من الحياة على خشبة المسرح، فأصر على إلغاء الاداء التقليدي حتي يقدم صورة أصدق ما تكون في التعبير عن الحياة.

وكان رائده في ذلك وفي تلك الفترة ستانسلافسكي وبعد عام ١٩٥٦ - عندما أخرج مسرحية "للنمر" - تحول اتجاهه الفني في اتجاه تأصيل الأداء، فحطم بذلك الأشكال الطبيعية.

وعندما أخرج مسرحية "صالة الشاي" قال بوضوح: "شريحة من الحياة على المسرح لا تساوي فنا دراميا وما يراه الجمهور ليس أكثر من تمثيل مع اعتراف صريح بأن المسرح مكان للتمثيل وتبلورت مفاهيمه في هذه النظرية: "الدراما فن يخلق بالتعاون والمشاركة بين معجبيه ومنجزيه"

ولقد أحدثت التطورات والإضافات التي حققها جياو في الدراما الحديثة صدى واسعا في الخارج، وعرضت مسرحية "صالة الشاي" في أوروبا واليابان وهونج كونج في أعوام ٨٠، ٨٢، ٨٦.

لقد نجح جياو في تكوين مدرسة للإخراج وقد ساعده في ذلك معرفته الموسوعية وظل مستمرا في تجويد فنه ولم يلتصق أبدا بالأفكار والأساليب القديمة.

وعند كل مسرحية يخرجها كان يكتسب أفكارا وإبداعات جديدة، وعندما كان يحاول تأصيل الدراما الأجنبية كان يكافح دوما في أن يخلق إبداعا صينيا أصيلا وهذا هو سبب نجاحه في تكوين مدرسة خاصة به في الإخراج ذات أسلوب متميز.



## جورج أورويل : بين الأدب والسياسة

الرأي بأن الفن يجب ألا يكون له علاقة بالسياسة هو في حد ذاته اتجاه سياسي، فإذا علمنا أن الدافع السياسي عند أورويل كان من أقوى دوافع الكتابة لديه، تبين لنا إلى أي حد مزج هذا الكاتب الإنجليزي بين الحس السياسي والمعالجة الجمالية وقد نجح في ذلك إيما نجاح، خاصة في رواياته "مزرعة الحيوان" و"١٩٨٤".

وقد كان أورويل روائيا وناقدا وصحفيا وكاتب مقال متميز كل ذلك في روح تهكمية ساخرة وبأسلوب سلس دقيق محدد، فالعنى هو الذي يحدد الكلمات التي يختارها الكاتب والتفكير الواضح سيؤدي إلى الكتابة الواضحة، وقد ساعده ذلك الأسلوب أن يجعل من الكتابة السياسية فنا من الفنون.

### لماذا أكتب؟

أوضح أورويل بداية قصته مع الكتابة فقال:

"منذ عمر مبكر جدا أيقنت بأنني سأكون كاتباً.. وقد كانت طموحاتي الأدبية مرتبطة بشعور العزلة الذي كان يسيطر علي، وامتلكت القدرة على التعبير بالكلمات، والطاقة على مواجهة الأحداث غير السارة، فخلقت بذلك عالماً خاصاً بي أهرع إليه عندما تؤلني مصاعب الحياة، وكتبت قصيدي الأولى وأنا في عمر الرابعة أو الخامسة، ولم أعد أتذكر شيئاً عنها سوى أنها كانت عن نمر.

كنت في الحادية عشرة من عمري عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى "١٩١٤ - ١٩١٨" فكتبت قصيدة وطنية نشرت في الجريدة المحلية... وحاولت مرتين كتابة قصة قصيرة وكان فشلاً مروعاً.

كانت تلك محاولاتي الأدبية وأنا صغير وبعدها أردت أن أكتب روايات طبيعية ذات نهايات غير سعيدة مليئة بالوصف والتفاصيل، والحقيقة أن روايتي الأولى "أيام بروما" والتي كتبتها وأنا في الثلاثين من عمري كانت أقرب إلى هذا النوع من الكتابة، وأعتقد أن الكاتب إذا حاول الهروب من تأثيراته المبكرة كلها، فقد يقتل البواعث الأساسية لديه التي تدفعه إلى الكتابة.

### صراع مرير

ولد جورج أورويل اسمه الحقيقي اريك بليز أما أورويل فهو اسم اشتهر به، وهو مشتق من نهر أورويل الجميل في شرق إنجلترا البنغال

١٩٠٣ وقد كان والده موظفا بسيطا في جهاز الخدمة المدنية بالهند، الذي كان تابعا للإمبراطورية الإنجليزية آنذاك أما أمه فهي من أصل فرنسي وابنة لتاجر أخشاب في بورما.

عقب عودته مع والديه إلى إنجلترا، أرسل عام ١٩١١ إلى مدرسة إعدادية خاصة وقد تعذب أورويل في هذه المدرسة لأن وجوده مع التلاميذ الأغنياء أكد لديه الإحساس بالفقر، فمال إلى العزلة والانطواء.

بعد أن اجتاز أورويل هذه المرحلة الدراسية بنجاح. اختار "ايتون" ليستكمل تعليمه، وبقي فيها من ١٩١٧ حتى ١٩٢١، وكان "الدوس هكسلي" الكاتب المعروف أحد أساتذته، كانت أولى إسهاماته الأدبية في "ايتون" من خلال دوريات الكلية، ولم يقبل أورويل على التعليم الجامعي، ولكنه قرر أن يذهب إلى بورما عام ١٩٢٢ ليعمل هناك في البوليس الإمبراطوري، وقد أurdك أورويل كم المعاناة لدى البورميين من جراء الحكم الإنجليزي، وبدأ في مهاجمة الإمبراطورية البريطانية وزعزعة أركان هذه المؤسسة الاستعمارية وقد ذكر هذه التجارب والخبرات في رواياته الأولى "أيام بورما".

في ١٩٢٧ قرر أورويل ألا يعود إلى بورما، وأخذ الخطوة الحاسمة في حياته، فقدم استقالته، وبدأ في إعداد نفسه للكتابة وقرر أن يغوص بنفسه في حياة الفقراء والبؤساء فسافر إلى باريس، حيث كان يعيش الأدباء

والفنانون عيشة بوهيمية ليكتسبوا الخبرات التي تساعدهم كأدباء وفنانين، عاش في البيوت الرخيصة بين العمال والشحاذين، وعمل في غسيل الأطباق في فنادق فرنسا ومطاعمها وقد أهدت هذه الخبرات لأورويل مادة كتابه "مستعطل في باريس ولندن".

بعد ذلك عاد إلى إنجلترا وخالط المشردين والصعاليك حتى اشتغل معلما خاصا، واستقر به المقام أخيرا في مكتبه لبيع الكتب، وفي ١٩٣٧ ذهب إلى أسبانيا موفدا من قبل أحد دور النشر كمراسل صحفي ليكتب عن الحرب الأهلية فيها، ولكنه اشترك في الحرب ضد "فرانكو" وجرح جرحا خطيرا، وقد سجل كل هذه الأحداث في كتابه "الولاء لكتالونيا".

في أثناء الحرب العالمية الثانية كان عضوا في الحرس الوطني وعمل فترة لحساب هيئة الإذاعة البريطانية في القسم الهندي، لكنه لم يشترك في الحرب لعدم لياقته البدنية، وقد أثر ذلك في نفسه تأثيرا كبيرا، وفي سنة ١٩٤٣ انضم إلى هيئة تحرير مجلة "تربيون" ليسهم في تحرير الصفحة السياسية والأدبية وأخيرا أصبح محررا دائما في "الأوبرزرفر" وفي سنة ١٩٤٥ نشر رواته "مزرعة الحيوان" وقد بيع منها أكثر من مليون نسخة وترجمت إلى أربع عشرة لغة أجنبية في ذلك الوقت "ترجمت حتى الآن إلى ٣٩ لغة".

ولقد جلبت له هذه الرواية الثراء والشهرة، ورغم أن "السل" قد بدأ يدمر جسمه إلا أنه أكمل روايته الأخيرة "١٩٨٤" وتوفيت زوجته الأولى

في ١٩٤٥ وقبيل موته بوقت قصير تزوج من "سونيا أورويل" في يناير ١٩٥٠، وفي السادسة والأربعين من عمره مات أورويل وهو في قمة ازدهاره الأدبي.

### لم يكن بوقا

كان أورويل يجد صعوبة بالغة في نشر مؤلفاته ذلك لأنه لم يكن كاتباً تقليدياً ، بل أن صراعاته مع الأفكار البالية والعادات الراسخة لعبت دوراً مؤثراً حتى بعد وفاته، ولأن مؤلفاته تنفذ اليمين واليسار معا فقد تباينت الآراء في تصنيف ذلك الكاتب الفريد والحقيقة أنه لم يكن بوقاً لأي اتجاه، ولم يكتب إلا ما يشعر به ويحسه ويعتقده.

كان يبحث دائماً عن عالم لا تمزقه أنياب الجوع ولا يسحق كرامته طغيان الديكتاتورية، فصار بذلك متسقاً مع نفسه متوحداً مع آلامه وأماله مهما تباينت الآراء فيه واختلفت وجهات النظر في تصنيفه، وفي بداية رحلته مع الكتابة خالط البؤساء والمشردين وعاش الطبقة العاملة، ومن يحيون حياة الكفاف فعرف الجوع وأحس بضراوته فأخذ يصارعه ويصارع من يقفون وراءه ويصنعونه ويباركونه، ويتبلور ذلك الصراع من خلال كتابه "مستعطل في لندن وباريس" وروايته "الطريق إلى ويجان بير" ثم انضم إلى حزب العمال واعتنق الاشتراكية، ودافع عنها في مقالاته "الاسد ووحيد

القرن"، "الشعب الإنجليزي" وغيرهما كما طالب بتصفية الإمبراطورية البريطانية.

عاد أورويل من أسبانيا بعد أن شارك في أحداث الحرب الأهلية الدامية ورأى بعينه مآسي الديكتاتورية وشعر بضرواتها التي تفوق ضراوة الفقر، عندئذ كرس نفسه لمحاربة الطغيان فكتب "الولاء لكتالونيا" يتضمن هذا الكتاب نقدا شديدا للحكومة التي حارب في صفها وأعلن فقد ثقته في روسيا وستسالين وقد بلور "أوريل" اتجاهه السياسي حين قال في مقال له بعنوان "لماذا أكتب؟" قضيت خمس سنوات في عمل لا يناسبني "يقصد عمله في البوليس الإمبراطوري في الهند" وعانيت من الفقر والإحساس بالفشل، وقد زاد ذلك من بغضي الطبيعي للسلطة وأعطتني وظيفتي في بورما فهما ما لطبيعة الإمبريالية، لكن هذه الخبرات لم تكن كافية لتحديد اتجاهي السياسي، ثم جاء هتلر والحرب الأهلية الأسبانية، هذه الحرب والحوادث التي تلتها حددت اتجاهي السياسي وعرفت أين أقف، فكل سطر من أعمالي منذ ١٩٦٣ كتبته من أجل ذلك.

وهكذا فقد وصف أوريل نفسه بأنه اشتراكي ديمقراطي فهو مع العدالة والحرية ضد الظلم الاجتماعي والديكتاتورية، والحقيقة أن حياته كلها كانت صراعا ضد الجوع والديكتاتورية، لكن صراعه مع الأخيرة استأثر بمعظم أعماله وكتاباته في أخريات حياته.

لقد دافع عن حرية الفرد وحرية الأديب وحرية الجماهير والشعوب الضعيفة. إذ كان أخشى ما يخشاه أن يستبد إنسان بإنسان أو جماعة بجماعة، أو دولة بدولة.

### بين "مزرعة الحيوان" و... ( ١٩٨٤ )

في "مزرعة الحيوان"، ١٩٨٤ استطاع أورويل أن يؤلف أفكارا في ثوب روائي، تعتبر هاتان الروايتان بلورة لمعظم أفكاره وكتاباتة السابقة والتي حوثها أغلب مقالاته.

عندما عاد من أسبانيا في ١٩٣٧ بدأ لأول مرة يفكر في كتابه "مزرعة الحيوان" وبالتحديد عندما اكتشف كيف أن دعاوي الاستبداد تستطيع أن تتحكم في الشعوب وأن هناك فئات بعينها لا يرضيها إلا ممارسة السلطة وإذلال الآخرين، ولذا فإن الطغيان قد سيطر وساد ورغم أن "مزرعة الحيوان" رواية خرافية إلا أنها محملة بالأبعاد السياسية والاجتماعية العميقة، ولذا لم يجد ناشرا لها إلا بعد عناء، فالرواية تنتقد الحكم في روسيا (في الوقت الذي كانت فيه روسيا وبريطانيا في خندق واحد ضد النازية).

وفيها مزج أورويل بين الحس السياسي والمعالجة الجمالية وقد نجح في ذلك، فهو يرى الدافع الجمالي من أهم دوافع الكتابة لديه ولا بد للكاتب أن يدرك الجمال ويحس أنه ذو قيمة.

أما "١٩٨٤" فهي أكثر هجاء ونقدا من "مزرعة الحيوان" ففي تلك السنة التي تجري فيها أحداث الرواية كان العالم مقسما إلى ثلاث قوى عظمى، وكل واحدة في حرب دائمة مع الأخرى وتمارس السلطات في إحدى هذه القوى سياسة الفرع الفكري حيث يصبح التفكير جريمة والحب جريمة، ويتم التجسس على كل نشاط إنساني، ففي كل غرفة شاشة تلفزيونية ولا يمكن إطفائها، وبهذه الوسيلة تستطيع السلطات أن تراقب كل كلمة بل وكل إيماءة.

ثم يجيء "ونستون سميث" وهو الرجل الوحيد الذي يثور ضد حكم الطغيان والديكتاتورية. ممثلا بذلك الفرد المثقف، إلا أنه قد خضع وأذعن بعد الإذلال والتعذيب حتى أنه بكى بكاء مريرا عندما رأى نفسه في المرأة، لأنه لم يتعرف عليها من أثر التعذيب، وهكذا نرى ونحس ونتألم لضحايا الإرهاب الفكري من أمثال ونستون وغيره.

### أورويل ومقالاته

كاتب مقال فذ بل إن البعض يرى أن مقالاته أقوى من رواياته، وقد عبر فيها عن نفسه أكثر مما عبر في رواياته، فكانت بذلك إطار لتحليل معظم أعماله، وحملت أيضا روحه التهكمية الساخرة ويقال إن أورويل تأثر كثيرا بالكاتب اللازع سويغت لكن أورويل يفوق "سويغت" في دهاء سخريته وذكاء تهكمه، ومن أهم مقالاته، (الأسد ووحيد القرن)، (الشعب

الإنجليزي)، (اطلاق النار على أسد)، (هكذا.. هكذا.. كانت المسرات)،  
(لماذا اكتب؟) وقد جمعت هذه المقالات بين الأسلوب السلس والمغزى  
السياسي العميق.

كما أنه تأثر بالكاتب الإنجليزي "ديكتر" لكنه يرى أن ديكتر كتب  
ببراعة عن الطبقة المتوسطة ولم يكن ناجحاً عندما كتب عن الطبقات  
العامة وإن كان أورويل روائياً عظيماً، فقد كتب لاسمه البقاء ككاتب  
مقال فذ.

## أعماله وتاريخ أول إصدار لها

- مستعطل في باريس ولندن ١٩٣٣ .
- أيام بورما ١٩٣٤ .
- ابنة الكاهن ١٩٣٥ .
- حافظ على نبات الأسبديسترا ١٩٣٦ .
- الطريق إلى ويجان بير ١٩٧٣ .
- الولاء لكتالونيا ١٩٣٨ .
- الصعود طلبا للهواء ١٩٣٩ .
- في خوف الحوت ومقالات أخرى ١٩٤٠ .
- الأسد ووحيد القرن ١٩٤١ .
- رواية مزرعة الحيوان ١٩٤٥ .
- مقالات نقدية ١٩٤٦ .
- الشعب الإنجليزي ١٩٤٧ .
- رواية ١٩٨٤ - ١٩٤٩ .
- إطلاق النار على أسد ١٩٥٠ .
- هكذا.. هكذا.. كانت المسرات ١٩٥٣ .
- وهناك مجموعة متنوعة من المقالات النقدية والصحفية ورسائله إلى كتاب وأدباء عصره قامت زوجته (سونيا أورويل) باختيارها وتنسيقها وإصدارها في عام ١٩٢٨ .

## باولو كويلو وأباطرة العالم

من أهم سمات الروائي البرازيلي باولو كويلو كتابة تلك اللحظات الصغيرة التي تمر في حياتنا ولا نعيها أي اهتمام، كاتب سطع نجمه في عالم الأدب، نشرت مؤلفاته في أكثر من مائة وخمسين دولة، وترجمت إلى أكثر من خمسين لغة.

وبيع منها أكثر من ثلاثين مليون نسخة، تحمل كتاباته روح الفلسفة وتغوص بعمق داخل النفس الإنسانية، رواية "الراح يبقى وحيدا" للكاتب الشهير باولو كويلو تعد آخر إبداعاته، انتهى من كتابتها في عام ٢٠٠٨، نشرت لأول مرة باللغة الإنجليزية ٢٠٠٩، وتحكي الرواية عن أحداث ٢٤ ساعة خلف كواليس مهرجان كان السينمائي الدولي في إطار الاحتفالات بالمهرجان.

وفي موسم المهرجان يجتمع أباطرة العالم ويرى كويلو في هؤلاء المجتمعين العالم بأسره.

إنهم أصحاب رأس المال، ومليارديرية العالم الذين يمثلون السلطة،  
والمال، والشهرة. وهم سادة العالم الذين لا يتجاوز عددهم الستة آلاف..  
هم أصحاب نزوات خاصة كما أنهم يصنعون الحروب وصفقات السلاح،  
ويثيرون الحروب العرقية والقبلية، ويمدون أطراف الصراع بالسلاح  
ويحرمونهم من ذلك بقرارات الشرعية متى أردوا، فيما تستمر مصالحهم  
بالاستحواذ على الألماس وسائر المعادن النادرة في ظل الحروب الأهلية.  
وتتمحور الأحداث حول إيجور، رجل الأعمال الروسي غريب الأطوار  
الذي شارك في حرب الاتحاد السوفيتي في أفغانستان مما سبب له مشاكل  
نفسية معقدة. إيجور. هجرته زوجته رغم حبها الشديد له بعد أن تأكدت  
من شخصيته المرتبكة للتزوج من رجل أعمال شهير من أصل عربي يعمل  
في مجال الموضة والأزياء.

يذهب إيجور إلى كان حيث توجد مطلقة مع زوجها هناك ليحاول  
أن يثبت لها مدى حبه لها ولكن بطريقته الخاصة، ولا تتوقف حدود نفوذ  
هؤلاء الأباطرة عند حد معين بل إن نفوذهم يتعدى ذلك إلى صناعة  
السياسة والسياسات العالمية.. إن العالم رهن إرادتهم.. يمعنون في تلوين  
البيئة، ويغرقون الأطفال في حروب تحرمهم من طفولتهم وتجعل منهم قتلة..  
وهم يمتلكون كل وسائل وأدوات صناعة العقل وتشكيله، وتوليد الثقافة  
والموضة والفكر الذي يشكل في مجموعه منظومة أيديولوجية وغطاء حقوقيا

لعالمهم الذي يصنعون: وهو العالم الذي بات مصيره - بأسره - في أيديهم.

في رواية "الرابع يبقى وحيدا" نرى ثلاثية السلطة والمال والشهرة ومدى سطوتها على النفوس، وفيها يعرض باولو كويلو عالما نعيش فيه أوعيش فيه الآخرون، ولم تنتبه يوما إلى أنه بكل هذه الغرابة وهذه الخفيا.

### باولو كويلو

ولد في ريودي جانيرو عام ١٩٤٠ ، قبل أن يتفرغ للكتابة، كان يمارس الإخراج المسرحي، والتمثيل، وعمل كمؤلف غنائي، وصحفي. وقد كتب كلمات الأغاني للعديد من المغنين البرازيليين أمثال إليس ريجينا، ريتا لي راؤول سيبكساس، فيما يزيد عن الستين أغنية.

ولعه بالعوالم الروحانية بدأ منذ شبابه كهبي، حينما جال العالم بحثا عن المجتمعات السرية، وديانات الشرق، نشر أول كتبه عام ١٩٨٢ بعنوان "أرشيف الجحيم"، والذي لم يحقق أي نجاح.

في العام التالي نشر كتاب "الخيميائي" وكاد الناشر أن يتخلى عنها في البداية، ولكنها سرعان ما أصبحت من أهم الروايات البرازيلية وأكثرها مبيعا، وحاز على المرتبة الأولى بين تسع وعشرين دولة، ونال على العديد من الأوسمة والتقدير.

وقد باع كويلو أكثر من ٧٥ مليون كتاب حتى الآن، وقد اعتبر أعلى الكتاب مبيعا بروايته ١١ دقيقة، حتى قبل أن تطرح في الولايات المتحدة أو اليابان، و ١٠ بلدان أخرى. واحتلت عام ٢٠٠٥ المركز الثالث في توزيع الكتب عالميا وذلك بعد كتابي دان براون شفرة دا فينشي وملائكة وشياطين وتعد الخيميائي ظاهرة في عالم الكتابة، فقد وصلت إلى أعلى المبيعات في ١٨ دولة وترجمت إلى ٦٢ لغة وباعت ٣٠ مليون نسخة في ١٥٠ دولة.

ومن أقوال باولو كويلو :

- لن يصل أحدا بعيدا إذا نسي من وقفوا معه في ساعة حاجته، عليك وأنت تقوم بالأمر ذاته المرة تلو المرة، أن تكتشف شيئا جديدا رائعا مر بدون ملاحظته في المرة السابقة.

- إذا أحببت شخصا فعليك أن تكون مستعدا لتركه حرا.

- عندما يقع المرء في الحب يتخيل وجود الحب في كل مكان.

- الشخص يجب أن يبقى دوما نفسه حتى لو تغيرت الدوافع مع

الوقت.

## المؤلف الكتاب

- اسم الشهرة: ربيع مفتاح.
- الاسم كاملاً: ربيع مفتاح محمود حسين.
- مكان الميلاد: مصر - الفيوم.
- تاريخ الميلاد: ٢٦ سبتمبر ١٩٥٤
- الهوية الأدبية: ناقد ومترجم.
- عضو لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة.
- مسئول عن ندوة إبداعات بلجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة لدورتين متتاليتين.
- عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر ورئيس شعبة الترجمة.
- عضو مجلس إدارة نادي القلم الدولي "مصر".
- عضو مجلس إدارة نادي القصة . وأمين صندوق النادي.
- رشحه نادي القصة لجائزة الدولة في التفوق في فرع الأداب ٢٠١٣/٢٠١٤.
- عضو أتبيلته القاهرة "جميعه الكتاب والفنانين".
- عضو الأمانة العامة لأدباء مصر لمدة ٤ دورات.
- عضو مجلس تحرير مجلة القصة.

- عضو جمعية أنصار التمثيل والسينما.
- عضو بنقابات التجار والمعلمين والمترجمين.
- مراسل مجلة الصين اليوم في مصر "سابقا".
- كاتب معتمد بالإذاعة والتلفزيون.
- نائب رئيس مجلس إدارة جمعية قراءة للنقد والترجمة.
- رئيس تحرير جريدة المترجم المصري التي تصدر عن اتحاد كتاب مصر.
- أشرف على تحرير مجلة الكرامة.
- نائب رئيس مجلس إدارة مجلة الصالون التي تصدر عن صالون غازي الثقافي العربي "سابقا".
- عضو لجان القراء والتحكيم في هيئة قصور الثقافة والمجلس الأعلى للثقافة واتحاد الكتاب ونادي القصة ووزارة التعليم العالي.
- أمين عام المؤتمر الأول لأدباء الجيزة عام ١٩٩٨.
- أمين عام مؤتمر تكريم صبري موسى "السردي وعبقريته المكان" الذي عقد باتحاد كتاب مصر في ديسمبر ٢٠١٣.
- رئيس وفد اتحاد كتاب مصر الذي مثل مصر في اتحاد الكتاب العرب الذي عقد في أبو ظبي - الإمارات العربية ٢٠١٣.

- شارك في معظم مؤتمرات الهيئة العامة لقصور الثقافة والمجلس الأعلى للثقافة واتحاد الكتاب ونادي القصة كما قدم كثيرا من الدراسات في مؤتمرات الرواية والترجمة.
- قدم بحثا في مؤتمر إقليم القاهرة وشمال الصعيد الثقافي المنعقد في الفيوم ديسمبر ٢٠١٣ بعنوان "الثقافة المصرية رؤية مستقبلية"
- كما قدم ورقة عمل في الاجتماع التمهيدي لمؤتمر المثقفين بعنوان نحو استراتيجية جديدة للتلقي.
- قام بكتابة برنامج "الأسرة والفن" لقناة الأسرة والطفل.
- نشرت مقالاته النقدية وترجماته في معظم المجلات المصرية والعربية منها: مجلة إبداع. القاهرة. الهلال. الثقافة الجديدة. المسرح مسرحنا. الرافد الإماراتية. البيان الكويتية. الفيصل. الحرس الوطني. الكويت. آفاق عربية وغيرها.

#### الجوائز والتكريم :

- شهادة تقدير – منتدى المثقف العربي ٢٠٠١.
- درع الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢.
- درع محافظة الجيزة ٢٠٠٢.
- درع وزارة الثقافة في النقد والترجمة – من المكرمين في مؤتمر أدباء مصر عام ٢٠٠٤.

- شهادة تقدير من الأمانة العامة لأدباء مصر لدوره المتميز في معظم المؤتمرات ٢٠٠٦.
- شادة تقدير من الجمعية الدولية للمترجمين واللغوين العرب ٢٠٠٧.
- شهادة تقدير من الجمعية المصرية للمترجمين واللغوين ٢٠٠٨.
- درع التفوق من صالون غازي الثقافي العربي ٢٠٠٨.
- جائزة اتحاد كتاب مصر في النقد الأدبي ٢٠١٠.
- جائزة مؤتمر يوسف إدريس المنعقد في قرية البيروم بالشرقية ٢٠١٣. وذلك للمشاركة والبحث المقدم من هيئة قصور الثقافة.
- للتواصل مع الكاتب:

[rabimof@hotmail.com](mailto:rabimof@hotmail.com)

## الفهرس

|     |                               |
|-----|-------------------------------|
| ٥   | الإهداء .....                 |
| ٧   | مقدمة .....                   |
| ١١  | القسم الأول .....             |
| ١٣  | الأستاذ شوقي .....            |
| ١٥  | الأستاذ غديري .....           |
| ١٩  | أحمد زرزور .....              |
| ٢٣  | عبد الوهاب مطاوع .....        |
| ٢٧  | عبد الغفار مكاوي مترجما ..... |
| ٤٣  | محمد مستجاب .....             |
| ٥١  | محمود الربيعي .....           |
| ٥٧  | العقاد ومندور .....           |
| ٦٥  | يوسف إدريس .....              |
| ٧١  | في حضرة نجيب محفوظ .....      |
| ٧٥  | عبد القادر حجار .....         |
| ٨٣  | عبد الرحمن بعكر .....         |
| ١٠٣ | القسم الثاني .....            |

|     |                                  |
|-----|----------------------------------|
| ١٠٥ | ..... حوار مع دان براون          |
| ١١٣ | ..... نايبول والحضارة الإسلامية  |
| ١٢٥ | ..... لورانس الكات العاشق        |
| ١٣١ | ..... طاغور ونزعتة الروحية       |
| ١٣٥ | ..... رؤية طاغور للحضارة الغربية |
| ١٣٩ | ..... جيا جوين                   |
| ١٤٩ | ..... جورج أورويل                |
| ١٥٩ | ..... باولو كويلو                |